359

HARLEQUIN

روايات أحلام

النجمة والشراء

شارون كندريك

www.elromancia.com

مرمورية

النجمة والشراع

أمر غريب أن يجذب الحارس الشخصي جاي لينور عارضة الأزياء الفاتنة كيري . فهما من عالمين مختلفين تماما .. لكن هذا الحارس الأسمر الساحر جعل كيري تهبط من منصة العرض لتجنح معه كسفينة من دون شراع .

ماذا ستفعل كيري عندما تعلم أن جاي ليس فقط كتلة عضلات .. بل يملك أيضا الذكاء .. والملايين ! وماذا يفعل هو أمام مشاعره الجديدة في حين أن آخر ما يفكر فيه هو الزواج !

شارون كندريك

بدأت بكتابة القصص في سن الحادية عشرة ولم تتوقف أبداً. تفضل كتابة الروايات ذات الأحداث السريعة والممتعة حيث يتمتع الأبطال بجاذبية تخطف الأنفاس.

ولدت شارون في لندن وتعيش اليوم في مدينة وينشستر الجميلة، حيث يمكنها مشاهدة الكاتدرائية فقط إذا ما وقفت على رؤوس أصابعها. متزوجة من بروفسور في الطب، وربما لهذا السبب تصاب هي وأفراد أسرتها بالرشح أكثر من أي شخص آخر في الحي. لديها ولدان: سيليا وباتريك.

تحب شارون الموسيقى، الكتب، الطبخ وتناول الطعام... وتحب أيضاً الانسياق وراء أفكارها الحالمة للبحث عن حبكات جيدة لرواياتها الجديدة!

١ ـ ورطة غريبة

لم يكثر من الكلام، ولعلّ هذا أفضل، فما من شيء أسوأ من سائق كثير الكلام.

جلست كيري في المقعد الجلدي المريح للسيارة الفخمة وحدّقت إلى ظهر الرجل الجالس أمامها في مقعد القيادة. لا، ليس من محبي الثرثرة حتماً، بل من أولئك الرجال الأقوياء الصامتين. يبدو غاية في القوة نظراً لعرض كتفيه، وهو صامت جداً. فمنذ أن أقلّها هذا الصباح من شقتها في لندن، اكتفى بإلقاء التحية عليها وحسب.

ارتعشت كيري، فالثلج لا يزال يتساقط في الخارج نتفاً كبيرة تلتصق بالخدين وتعلق في الشعر.

شدّت معطفها المصنوع من جلد الغنم وتقوقعت داخله.

ـ هلاّ أدرت جهاز التدفئة من فضلك، فأنا أرتجف من البرد.

ظلّت عينا جاي مسمرتين على الطريق فيما أجاب:

ـ حسناً.

ـ وهلاّ أسرعت، إذ أرغب بالعودة إلى لندن هذا المساء.

ـ سأبذل قصارى جهدي.

سيسرع بقدر ما يسمح له الطقس بذلك. كان وجه جاي مخبّئاً، لكنه استطاع إلقاء نظرة في المرآة فرأى عارضة الأزياء ترتدي قفازين

من الفرو تغطّي بهما أصابعها الطويلة. ولو تمكنّت من رؤيته للاحظت نظرة الاستياء بادية على وجهه، لكنها لن تكترث حتماً لاستيائه حتى لو لاحظته، فهو ليس إلاّ السائق. سائق يقضي عمله بالسهر عليها وعلى عقد اللآلىء الثمين الذي يزيّن عنقها الشاحب، في يوم من أبرد أيام العام.

لقد تفرّج عليها فيما أحاط بها المصممون والمصوّرون ومساعدوهم، وهي ترمقهم بنظرة فارغة ملؤها الضجر. لم تكن الوحيدة التي تشعر بالضجر، فالحق يقال إنه سئم للغاية وهو ينتظر أن تنهي عملها. فالانتظار ريثما تنتهي جلسة التصوير أمر ممل للغاية. لم يكن يمانع في الانتظار لو أنّ لديه سبباً مقنعاً لذلك، لكنه يعتبر كلّ ما يجري من حوله مضيعة حقيقية للوقت.

رأى جاي أنّ من الجنون أن تقبل امرأة ما بارتداء فستان سهرة رقيق في هذا البرد القارس. أما كان بإمكانهم تصوير مشهد الثلج داخل الأستوديو حيث الدفء والراحة فيوفرّوا عليه العناء؟.

وبعد طول انتظار، رأى كاميرات التصوير فتجلّت الصورة أمام ناظريه. عادت العارضة للحياة أمام عدسات التصوير. ويا لجمالها! صفّر صفرة طويلة، فسمعه مساعد المصور وابتسم:

ـ إنها رائعة، أليس كذلك؟.

حدّق جاي إليها. إنها خلاّبة، تماماً كاللآلىء التي تضعها، هذا في حال كنت من محبي اللآلىء، لكنه لم يكن كذلك.

تسمّر نظره على شعرها المنسدل على كتفيها، ووجهها الشاحب كلوح من الجليد، وعينيها الداكنتين بلون الفحم. كانت شفتاها كبيرتين وممتلئتين وقد لوّنتهما بالأحمر القرمزي، فبدتا مثيرتين

للغاية. كما أضاف الفستان الفضي الذي ارتدته رونقاً على لوحة الثلج، إذ التصق بجسمها كقشرة من الجليد.

بدت وكأنها منحوتة من الثلج أو الشمع، إنها كاملة إلى حدّ لا يصدّق. وتساءل ترى إذا ما جرحتها، فهل تنزف؟ تمتم: «لا بأس بها!».

وعاد مساعد المصور ليبتسم إليه إبتسامة تفيد أنه فهم كلامه، ثم تنهّد قائلاً:

ـ أعرف ما تقصده، فهي ليست بعيدة المنال عنا وحسب، بل لعلّها لم تلاحظ يوماً أن لأمثالنا وجود.

أومأ جاي وابتعد. لم يبذل جهداً لتصحيح كلام المساعد. فاليوم الذي يعتبر فيه إحدى النساء بعيدة المنال، هو اليوم الذي يلفظ فيه أنفاسه الأخيرة. إلا أن الوقت غير ملائم الآن لهذا النوع من الأحاديث، فهو هنا للقيام بعمله والانصراف في أسرع وقت ممكن. لم يكن ينوي أن يعمل الليلة، فهو على موعد مع شقراء فاتنة تتودّد إليه منذ بعض الوقت لكنه لم يعرها اهتماماً حتى الليلة، حين قرّر مجاراتها. وعلت ابتسامة ترقّب ثغره.

ـ كم تبقى من الوقت برأيك؟.

قطع سؤالها حبل أفكاره، أفكار بدأت تتجه إلى الإباحية.

ـ كم بقي من الوقت على ماذا؟.

تنهدت كيري. كان يومها طويلاً وشاقاً، والحق يقال إنّ من شيء تتمناه الآن سوى العودة إلى المنزل والاستحمام بالماء الساخن، ثم الاستلقاء وقراءة كتاب جيّد عوضاً عن الخروج لتناول العشاء. وهذا لا يعني أن العشاء مع دايفيد ممل، فهو لم يكن كذلك يوماً. صحيح

www.elromancia.com

أنها لا تحبّه وهو يعلم هذا، لكنه لا يمانع. هذا على الأقل ما قاله، لكنها لا تنفك تتساءل عما إذا كان يخطّط لشيء ما لجعلها تغيّر رأيها. إلاّ أنها لن تفعل، وهذا أمر أكيد، فدايفيد مجرّد صديق ليس إلاّ. فبالنسبة لها، وبحسب خبرتها المحدودة في هذا المجال، عندما تتخطّى العلاقة حدود الصداقة تبدأ المشاكل بالظهور.

ـ سألتك كم من الوقت بقي حتى نصل إلى لندن؟.

حدّق جاي إلى الطريق أمامه. الثلج يتساقط بغزارة، والسماء رمادية ملبّدة بالغيوم إلى حدّ يصعب معه على المرء رؤيتها. لاحت الأشجار على جانبي الطريق فبدت قاسية للغاية حتى أنّ المرء لا يصدّق أنهاحملت يوماً فواكه أو براعم وأوراق.

أراد أن يقول لها إنها لو لم تضيّع الكثير من الوقت، لكانا أوشكا على الوصول. لكن لا يفترض بالسائق أن يبدي رأيه، فضبط نفسه بصعوبة. تمتم:

ـ يصعب القول، فهذا رهن...

ـ رهن بماذا؟.

اغتاظت لطريقه كلامه، فأيّ نوع من السائقين هو إن كان عاجزاً عن تقدير الوقت الذي يلزمه لبلوغ وجهتهما.

أحسّ أنها فقدت صبرها، فأخفى ابتسامته. لقد نسي كيف هو الحال مع الموظفين، إذ يُطلب من الموظف تنفيذ الأعمال والإجابة عن الأسئلة عندما توجّه إليه، تماماً كما لو أنه آلة.

ـ رهن بغزارة تساقط الثلج.

وعبس فجأة حين شعر أن العجلتين الأماميتين ارتطمتا بالثلج وابطأ بسرعة.

نظرت كيري من النافذة.

ـ لا يبدو لي الأمر سيئاً للغاية.

تمتم: «أحقاً؟ هذا جيّد إذاً».

تحدّاها بسخرية، وشعر بأنها لمست سخريته. حدّقت إلى كتفيه الثابتتين، أتراه يسخر منها؟.

نظر إليها، فإذا بها تقطب جبينها فوق تينك العينين الخلاّبتين، فتعكّر جمال الكمال. سألها محاولاً ترطيب الأجواء ومتجنباً حدوث أي احتكاك بينهما.

ـ أتريدين أن أشغّل الراديو؟.

كانت تشعر بالانزعاج ... لكنها لم تستطع تحديد السبب. قالت بتردد:

ـ في الواقع، ما أريده هو الحصول على قسط من النوم، فإن كنت لا تمانع...

ـ طبعاً، ما من مشكلة.

أخفى جاي ابتسامة تلاشت تدريجياً وهو يقود في الضباب. وتحوّلت نتف الثلج من الرقة والروعة التي نراها في الكتب المصوّرة لتصبح صغيرة وقاسية، وعلم أن الجليد سيتشكّل قريباً. وكانت الرياح القوية تحرّك نتف الثلج فتخالها أسراباً من النحل الأبيض. نظر إلى المرآة مجدداً. لقد غفت. أرجعت رأسها إلى الخلف، فانسدل شعرها من حول رأسها كوسادة سوداء لمّاعة.

وقع الغطاء عنها فكشف عن ساقيها الطويلتين، ساقين لن يرى بجمالهما قطّ في حياته.

حوّل جاي نظره بتردّد نحو الطريق. ستستغرق هذه الرحلة وقتاً

www.elromancia.com

أطول مما توقع؛ لذا، من الجيد أنها غفت عوضاً عن إلهائه.

إلاّ أن الطقس كان كفيلاً بإلهائه، إذا أخذت الطرقات تضيق أكثر فأكثر، وتساقط الثلج يتزايد بسرعة، وهبط الظلام فأخفى تحت ستاره التلال والهضاب. وبدأت السيارة تبطىء سيرها وهي تواجه الثلج على جانبيّ الطريق. وأدرك أن الأمور ستسوء، ستسوء كثيراً.

لقد أنبأه حدسه بذلك وكذلك خبرته، إذ اختبر العيش في ظروف مناخية هي الأصعب في العالم.

وانحدرت الطريق أمامه، فرفع رجله عن الفرامل قليلاً. الانحدار أمر جيد، فبعد المنحدرات تجد السواح حيث يكثر الناس، وتتواجد المنازل أي الملاجىء الآمنة، وقد شعر بأنهما سيحتاجان قريباً إلى أحد هذه الملاجىء.

ولكن هذه المنطقة لسوء الحظ، منطقة مقطوعة عن العالم. منطقة تفتقر إلى المساكن، وقد تمّ اختيارها لجلسة التصوير نظراً لجمالها ولبعدها عن المدينة.

أشعل الضوء ونظر بسرعة إلى الخريطة، ثم ضاقت عيناه عندما أوشكت السيارة على الاصطدام بحافة كبيرة. أيقن جاي أنه لم يعد أمامه خيار آخر. فضغط على الفرامل بقوة.

استيقظت كيري على صوت الفرامل وفتحت عينيها، وهي لا تزال تتأرجح بين عالمي الأحلام واليقظة، سألت: «أين نحن؟».

ـ لا أعلم، أنظري بنفسك، نحن في مكان مقفر.

أيقظها الصوت الرجولي الخفيض من عالم الأحلام وسحرها للحظة قبل أن تدرك أين هي. نظرت من النافذة ثمّ رفّت بعينيها. إنه لا يمزح!.

ففيما كانت نائمة تحوّل المنظر الطبيعي من حولهما إلى منظر اختفت معالمه جرّاء الثلج. لقد أسدل الليل ستاره وتساقط الثلج بغزارة. كل ما حولهما أسود وأبيض كنيجاتيف الصور. المنظر رائع إلاّ أنه مخيف. إنهما في مكان مقفر كما قال لها. سألت:

ـ لِمَ توقفت؟.

ـ لِمَ برأيك توقفت؟.

ـ لأن الثلج ينهمر بغزارة هنا. حسناً، كم من الوقت سنحتاج الآن حتى نعود؟.

نظر جاي إلى الخارج ثم إلى وجهها الرائع الذي تجلّت عليه ملامح الضياع. بدا جلياً من سؤالها أنها تجهل مدى سوء الوضع، لذا سوف ينقل إليها الخبر السيء بلطف وتدريجياً.

ـ إذا استمر الوضع على هذا الحال، فسيستحيل علينا العودة، أقله الليلة. سنكون محظوظين إن تمكّنا من بلوغ أقرب قرية.

بدا كلامه مقتبساً عن فيلم سيء الإخراج.

ـ لكنني لا أريد الذهاب إلى إحدى القرى، أريد الذهاب إلى المنزل.

أريد، أريد، لا بدّ أن امرأة مثلها اعتادت الحصول على ما تريده. حسناً، لن تحصل هذا الليلة.

ردّ بتجهم: «وأنا أيضاً يا عزيزتي، لكنني سأرضى بالموجود».

لم تعلّق على كلمة «عزيزتي» فالوقت ليس ملائماً للرسميات.

ـ ألا تستطيع متابعة القيادة؟.

داس بحذر على البنزين، ثم رفع قدمه.

www.elromancia.com

ـ لا، نحن عالقان.

استقامت في مقعدها.

ـ ماذا تعني بعالقين؟.

بحق السماء ماذا تظنين أنني عنيت!!!.

ـ تماماً كما قلت. نحن عالقان، لقد غرقت عجلات السيارة في الثلج كما أنّ الجليد يغطي المكان، فإن حركت السيارة لقينا حتفنا حتماً.

أغمضت كيري عينيها لبرهة.

أرجوك يا إلهي! هذا لا يحدث لنا.

فتحت عينيها من جديد.

ـ لِمَ لم تتوقع حدوث هذا فسلكت طريقاً أخرى؟.

كان باستطاعته تجاهل كلامها، إلاّ أنه شعر بدمه يغلي في عروقه:

ـ ما من طريق أخرى تؤدي إلى ذلك الحقل الذي اختاروه للتصوير. وقد طلبت منك ثلاث مرّات أن تسرعي إن كنت تذكرين. قلت إن شكل السماء لا يعجبني، لكنك كنت منشغلة في سماع مديح الآخرين وتملّقهم لدرجة أنك لم تعيري كلامي أيّ اهتمام.

أتراه ينتقدها؟.

ـ كنت أقوم بعملي فحسب.

ردّ بغضب:

ـ وأنا أيضاً أحاول القيام بعملي، أي التعامل مع هذا الوضع كما هو عوضاً عن إضاعة الوقت في توجيه الإتهامات العبثية.

حدّقت كيري إلى رأسه الداكن وشعرت وكأنه لاعب تنس أساء التسديد. ما أزعجها هو إدراكها أنه محق. صحيح أن أسلوبه في الكلام قاسٍ ومتعجرف لكن كلامه منطقي. سألته ببرودة:

ـ إذاً، ماذا تقترح أن نفعل؟.

قالت نحن لكنه عرف أنها عنت أنت.

ـ أرى أن نجد ملجأ.

ـ لا.

هزت كيري رأسها. أتراه يفكّر في أن يحجز في فندق ما لقضاء الليلة؟.

ـ لا أظنك تعي ما يجري، عليّ أن أعود إلى لندن الليلة. ألا تستطيع أن تحفر حول العجلات لإخراجنا من هنا؟.

ضحك جاي.

ـ لا أظنك تفهمين يا عزيزتي، فحتى لو حرّكت السيارة، لن أستطيع قيادتها إلاّ لمسافة قريبة. يستحيل المرور على هذه الطريق.

انتابتها موجة من الذعر لكنها عادت وتمالكت نفسها.

ـ لا يسعك التكهّن بذلك.

لم يكن ينوي أن يشرح لها أنه خَبِر الثلج والجليد على مختلف أشكاله وأن هذا الثلج المتساقط بغزارة هو حقيقة وليس صورة على بطاقة لعيد الميلاد. لقد اعتاد الغطس في برك الجليد ويتساءل ما إذا كان دمه قد تجمّد في عروقه. قال بحزم: «بلى، فهذه وظيفتي».

جال بنظره في الخارج ثم تنهد وأضاف:

ـ آسف، ولكن هذه الحقيقة.

www.elromancia.com

فتحت فمها لترّد إلاّ أن الكلمات تجمّدت على شفتيها حين نظرت إلى عينيه للمرة الأولى. عيناه لامعتان تخطفان الأنفاس، وقد مرّ وقت طويل لم يوقظ فيها رجل مثل هذا الشعور. هذه هي المرة الأولى التي تنظر فيها إليه جيداً، فما من أحد ينظر بتمعّن إلى السائق، لأنه جزء من السيارة، أو هذا ما اعتقدته. أخذت نفساً عميقاً وقد تفاجأت لتسارع خفقات قلبها، كما لو أنه يحاول أن يخبرها أنه ما زال موجوداً. يا إلهي! لما يعمل رجل كهذا سائقاً؟.

كانت ملامح وجهه فاتنة وقد بدت متناغمة مع انحناء شفته السفلى. لم تستطع تحديد لون عينيه بسبب الضوء الخافت، لكنها تمكنّت من رؤية رموشه السميكة التي أضفت غموضاً على نظرته. وبسبب عملها لفترة طويلة في مجال عرض الأزياء أدركت أن خدوداً كخدوده أمر نادر.

كان ببساطة فاتناً.

لاحظ جاي اتساع عينيها والنور الذي ظهر فيهما فجأة لكنه طرد هذه الفكرة من رأسه. الوقت وقت عمل الآن وليس وقت تسلية، كما أنه لا يحبّ الفتيات المدللات اللواتي يتوقعن أن يقفز الجميع من حولهن فرحاً كلما تكلّمن.

قال مازحاً:

ـ يمكننا قضاء الليلة هنا وإدارة المحرك حتى الصباح على أمل أن تتحسّن الأمور.

قضاء الليلة في السيارة؟.

ـ هل أنت جادّ؟.

ـ تماماً.

يمكنه أن يبقى مستيقظاً الليل بطوله فهو خبير في البقاء مستيقظاً بانتظار الفجر أن ينبلج.

بدا واثقاً جداً من كلامه إلى حدّ أن كيري بدأت تصدّق. ولكن لا بدّ من أنه قادر على فعل شيء ما، فهذه إنكلترا وليس جبال الروكي؟.

ـ يمكننا الاتصال بأحدهم طلباً للمساعدة.

وراحت تفتّش في حقيبة يدها، وهي تضيف:

ـ لديّ هاتف خلوي هنا في مكان ما.

كان هاتفه الخلوي في جيبه، أتراها ظنت أنه لم يحاول الاتصال بأحد؟ تمتم:

ـ حاولي الاتصال. اتصلي بخدمات الطوارىء وقولي لهم إننا في ورطة.

أيقنت من نبرة صوته أن الخطوط مقطوعة، لكن عنادها دفعها إلى الضغط بعصبية على أزرار الهاتف وقد ازداد هلعها.

سألها ساخراً:

ـ ألم يحالفك الحظ؟.

كانت يدها ترتجف لكنها عادت فوضعت الهاتف في حقيبة يدها بكلّ ما أوتيت من كبرياء.

ردّت بثبات:

ـ إذاً، لقد علقنا حقاً؟.

ـ هذا ما يبدو.

بدت عيناها كبيرتين وداكنتين، جذابتين حقاً في وجهها الشاحب

www.elromancia.com

الذي يبدو وكأنه صمّم على شكل قلب خصيصاً ليذيب قلوب الرجال ويثير فيهم الرغبة في حمايتها.

الطبيعة غريبة في تكوينها، فقد أضافت إلى شكل وجهها الرائع أنفاً، وعينين، وفماً ملفتة فجعلت ذلك الوجه خلاباً وغير عادي.

ـ اسمعي، أظنني رأيت مبنى خلفنا، المنطق يقول أن نتجه إليه. سأذهب وأتحرى الأمر.

شعرت بمزيد من الانزعاج لمجرّد التفكير في البقاء بمفردها في السيارة. ماذا لو اختفى في الليل البارد ولم يعد؟ ماذا لو أتى أحدهم بعد رحيله؟ وبعد التفكير علمت أنها ستكون في أمان أكبر إن بقيت معه عوضاً عن الانتظار وحدها في السيارة. صحيح أن أسلوبه في الكلام يفتقر إلى بعض التهذيب، لكن يبدو أنه يعلم ماذا يفعل.

ـ لا، لا أريدك أن تتركني هنا بمفردي، أنا قادمة معك.

نظر إلى حذائها الجلدي. كان مصنوعاً من الجلد الناعم المضاد للمياه، ولكن مثل هذا الكعب العالي غير مناسب للسير. هي ليست من النوع الذي اعتاد السير.

رفع حاجبيه:

ـ أنتِ لا ترتدين ثياباً ملائمة لذلك.

ـ لم أكن أتوقع تسلّق الجبال.

ضاقت عيناه: «هل سبق لك أن تزلّجتِ؟».

ضحكت وردّت:

ـ أتمزح؟ يعدّ التزلج من الرياضات الخطرة، لذا يحظّر على من يعملن في مجال عرض الأزياء ممارستها.

يا لها من وظيفة متطلبة!

ـ هل أنتِ واثقة من قدرتك على التحمّل؟.

ردّت بعناد: «سأتدبر أمري».

عرف أنه لا يملك خياراً آخر سوى السماح لها بالمحاولة.

ـ عليك أن ... يستحيل أن أحملك.

نظر إليها مجدداً وحدّق إلى شفتيها الخلاّبتين وعرف أنه يكذب، فهو سيحملها حتماً وبكل سرور. فالرجال مستعدون للسير أميالاً من أجل امرأة مثلها. قال بحزم:

ـ أقفلي أزرار معطفك، وضعي القفازين في يديك.

فتحت فمها لتطلب منه أن يكفّ عن معاملتها كغبية لكن سرعان ما أيقنت أن المعايير اختلفت، فهو لم يعد السائق فحسب. بدا واضحاً أنه أضحى المسؤول وهي لم تعتد على هذه الفكرة بعد.

ـ أتريدين قبعة؟.

هزت رأسها فتناول قبعة، وقال:

ـ ارفعي شعرك إلى الأعلى ثم ضعي هذه.

ـ ألن تحتاجها أنت؟.

ـ أنتِ بحاجة إليها أكثر مني، فأنتِ امرأة.

رغبت في إبداء ملاحظة ما عن المساواة بين المرأة والرجل، لكن شيئاً ما في عينيه أنبأها بألاّ تفعل، فهو لا يهتم لهذا. وبالنسبة لامرأة اعتادت أن يكترث الرجال لكل كلمة تتفوه بها، وجدت ما يجري الآن غريباً فعلاً.

خرج من السيارة ودار حولها ثمّ فتح لها الباب بصعوبة لأن الثلج

www.elromancia.com

تكدّس قربه.

- إحذري، فالثلج بارد وسميك. اتبعيني، إبقي قريبة مني وسيري بأسرع ما يمكنك، ونفذّي ما أقوله لكِ بالحرف الواحد.

إنه يصدر الأوامر.

بدا أنه يدرك وجهته تماماً في حين عجزت كيري عن التمييز بين السهل والمنحدر. راحت تلهث وهي تحاول جاهدة مجاراته. واضطر مراراً إلى التوقف والنظر إليها:

- هل أنت بخير؟.

أومأت:

- أنا أسير ببطء، أليس كذلك؟.

أنت امرأة ومن الطبيعي أن تتصرفي على هذا النحو.

- لا تقلقي، هل تجمّدت أصابعك؟.

ارتجفت:

- أي أصابع؟.

ضحك، فتردد صدى موسيقى عذبة في الأرجاء، ووعدها بلطف:

- لن يطول الأمر.

وفيما كانت تتبعه تساءلت كيف عساه يعلم أن المسافة لن تطول. تساقطت نتف الثلج على وجهها وذابت على شفتيها. والحذاء الذي اعتبرته مريحاً لم يكن كذلك إلاّ للقيام بنزهة صغيرة على أرصفة لندن. شعرت بأن رجليها موضوعتان في علبة سردين فيما بدأت أصابع رجليها تؤلمها. أمّا أصابع يديها فكانت باردة، باردة إلى حدّ

أنها فقدت الإحساس بها.

لم تشعر يوماً بمثل هذا الألم في مختلف أنحاء جسمها، ولم يقتصر الأمر على الألم الجسدي فحسب بل رافقه أيضاً خوف شديد. ماذا لو لم يجدا المكان الذي تحدّث عنه؟ ألم تسمع عن أشخاص ماتوا من البرد أو تاهوا في ظروف جوية مماثلة؟

شعرت بجسدها يرتجف خوفاً وليس برداً. لم لم ينتظرا في السيارة حتى حلول الصباح؟ فعلى الأقل سيسهل إيجادهما هناك. عضّت على شفتها، لكنها لم تتألم. وفجأة توقف.

ظهرت في صوته نبرة رضى:

- وصلنا. عرفت أننا سنفعل.

نظرت كيري إلى الأعلى وسألت بصوت منخفض:

- ما هذا؟.

- إنه ملجأ.

لاح المبنى أمامها كشبح، ولم يكن يبدو دافئاً أو مرحّباً. إنه مبنى طويل، طويل للغاية، أشبه بكنيسة صغيرة، والمدخل المؤدي إليه مطمور بالثلج. لم ترَ ضوءً كما لم تكن النوافذ مغطاة بالستائر، لكنه ملجأ على الأقل.

وتصرّفت كيري كما كانت لتفعل أي امرأة أخرى في ظروف مماثلة.

انفجرت بالبكاء.

www.elromancia.com

٢ ـ الكنز المفقود

ضاقت عينا جاي ورماها بنظرة سريعة مقيّمة. كم تشبه باقي النساء! يصف الكنديون الثلج بخمس طرق مختلفة على الأقل؛ فيما يصفه سكان القطبين الشمالي والجنوبي بطرق لا تُحصى ولا تعدّ تماماً كما تبكي النساء بطرق مختلفة ومتنوعة. تبكي النساء لأسباب شتّى ونادراً ما يكون الأمر جاداً أو يستحق البكاء. وفكّر في أنّ الدموع التي تذرفها كيري الآن ليست إلا دموع الارتياح، فتجاهلها تجاهلاً تاماً.

ـ ما من أحد في المنزل. هذا في حال افترضنا أن هذا المبنى هو منزل أحدهم.

انهمرت الدموع من عينيها فجأة، وهي لا تذكر متى بكت آخر مرة. لقد تعلّمت من مهنتها أن تخفي مشاعرها وراء ابتسامة مشرقة ساحرة. يفترض بها أن تشعر بالامتنان لأنه لم يعلّق على دموعها، لكنها شعرت بنوع من الاستياء لأنه لم يحاول تعزيتها أو التخفيف عنها، وفركت عينيها بمعصميها الباردتين.

ـ كيف عرفت؟.

رأى أن شرح سبب اعتقاده أن المنزل فارغ سيستغرق وقتاً طويلاً، لذا تجاهل السؤال وراح يقرع الباب بضربات قوية. انتظر قليلاً، لكن وتماماً كما تكهن، كان المنزل فارغاً. قال بتهذيب:

ـ تراجعي إلى الخلف.

ـ لِمَ؟.

ـ لأنني سأسعى للدخول إلى المنزل.

نظرت كيري إلى الباب المصنوع من خشب السنديان القوي، وسألت غير مصدقة:

ـ أنت لا تنوي خلع الباب أليس كذلك؟.

هزّ رأسه وهو ينوي إظهار رجولته وقوّته أمامها.

ـ لا، سأكسر القفل فقط.

ـ ستكسر القفل!.

لم تعتد سماع هذه العبارة، لكنها فهمت معناها، فخافت وتراجعت إلى الوراء لكنه لم يلحظ خوفها.

ـ لا يمكنك أن تفعل هذا، فهذا اعتداء بالخلع والكسر.

رماها بنظرة تفيد بأن صبره قد عيل، ثم سألها ببرود:

ـ وماذا تقترحين أن نفعل؟ أن نبقى في الخارج ونتجمّد من البرد علّنا نحصل على ميدالية المواطن الشريف؟.

ـ لا، طبعاً لا...

ـ إذاً أصمتي دقيقة ودعيني أفكّر.

بدا واضحاً أنه يوجّه لها أمراً بوقاحة، لكن الوقت ليس ملائماً للتصرّف بحساسية. ولدهشتها، أخرج من جيبه شيئاً أشبه بحديدة صغيرة. ووجدت نفسها تفكر بهستيرية في إذا ما كان من المفترض بكل سائق أن يتقن كيفية خلع المنازل وكسر أقفالها. وضعت يديها في جيبي معطفها، فيما راحت أسنانها تصطك.

www.elromancia.com

وبسرعة خيالية، فتح الباب وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة عندما لاحظ نظرة الرعب في عينيها.

ـ تبدين متفاجئة!.

ـ لا متفاجئة، بل... بحق السماء، كيف تمكنت من فتح الباب بهذه السرعة؟.

قالت هذا وهي تدخل من الباب الذي أوصده وراءهما بقوة.

ـ أنتِ لا تريدين معرفة هذا، اكتفي بإضافة هذا الأمر إلى مهاراتي المتعدّدة.

يا للروعة! مع أي نوع من المجانين تراها علقت؟ أهو لصّ؟ أم أسوأ من هذا؟.

نظر إليها مدركاً ما يجول في فكرها. وراح يتأمل ما حوله رافعاً رأسه تدريجياً كحيوان وجد نفسه في منطقة عدائية وجديدة. أدرك جاي أنه يستمتع، فقد نسي معنى الحياة تحت الخطر، والتأقلم مع الظروف غير المتوقعة، واستخدام حواسه وقوته مجدداً. لقد مرّ وقت طويل على استخدامه حواسه، وقت طويل جداً.

قال بلطف: «لا أحد يعيش هنا، ليس في الوقت الحالي على الأقل».

ـ كيف عرفت؟

ـ لأن المكان بارد للغاية، وما من رائحة. فحين يعيش الناس في منزل ما، يخلّفون وراءهم رائحة.

نظر إلى الأرض ثم أردف:

ـ كما أنني أشعر بهذا. فالمكان الذي لا يقطنه أحد يبدو موحشاً.

نعم، فبغضّ النظر عن موقعه الجغرافي، يبدو هذا المكان موحشاً. وكيري تدرك تماماً معنى الوحشة، إذ قد يعيش المرء حياة زاخرة للغاية، ويظل يشعر بالوحدة في داخله.

ـ إذاً، ها نحن.

فكّر أنه وحيد في منزل خال مع امرأة جميلة، فخفت صوته تدريجياً. أما هي فأدركت في هذه اللحظة حقيقة وضعها. وبعد أن اعتادت عيناها على الظلام، راحت تنظر إليه بطريقة مختلفة، مختلفة تماماً عن نظرتها الأولى، فهو لم يعد شخصاً كلّفته الشركة بإيصالها إلى جلسة التصوير وإعادتها إلى لندن.

بل أصبح بنظرها رجلاً.

لقد تأكدت لديها صحة النظرة الأولى، فهو فعلاً وسيم. إنه طويل القامة، أطول منها، وهذا أمر نادر إذ أن كيري طويلة القامة، شأنها شأن معظم عارضات الأزياء. لكن الأمر يتعدّى طول قامته ليصل إلى شيء أكثر خطورة، مرتبط برجولته الطاغية، والدفء الظاهر عليه على الرغم من برودة الطقس.

ابتلعت كيري ريقها، وبدأت راحتاها تتعرّقان. بدا المكان ضيقاً ويفتقر إلى الهواء، على الرغم من اتساع الردهة وكبرها. ولعلّه شعر بما تشعر به تماماً لأنه مدّ يده إلى زر الكهرباء ليضيء النور.

ـ فلنحاول إضفاء بعض النور على ... تباً!.

ـ ما الأمر؟.

ـ كان حرياً بي أن أعلم. الكهرباء مقطوعة.

شتم بصوت منخفض وسحب ولاّعة من جيبه وأشعلها.

بدا وجهه مشعّاً على نور الولاّعة.

www.elromancia.com

سألت: «ألديك أرنب في جيبك أيضاً؟».

وأدركت أن صوتها مرتفع.

تأملها من أسفل إلى أعلى، ثم سألها:

ـ هل أنتِ بخير؟.

إلى أن أخرج الولاعة من جيبه، كانت على خير ما يرام نظراً للظروف. صحيح أنها بكت، لكنها مرتاحة الآن لأنها داخل المنزل إن لم يكن في الدفء فأقلّه بعيداً عن المطر والثلج. لكن كلّما نظرت إليه كلما أيقنت أن الانطباع الأول الذي كونته عنه عندما لمحت طيفه في السيارة ليس صحيحاً أبداً.

ظنّت أنه بهيّ الطلعة لكنها مخطئة. فبهاء الطلعة يعني شاباً ملفتاً من الخارج لكن فارغاً من الداخل، كالعديد من عارضي الأزياء الذين صادفتهم. لكن هذا الرجل... وفجأة عجزت عن التنفس.

كان ضوء الولاعة يعكس خيالات على خديه العاليين وينير عينيه بوهج يُظهر ذكاءً متقداً. أحسّت بقوة تنبع من أعماقه ومن جسمه المفتول العضلات. بدا واثقاً من نفسه، ثقة لا تتزعزع، في حين أنها غير واثقة من نفسها وتشعر بالدوار.

ـ أنا... أنا بخير.

ارتأت أنه يستحسن بها السيطرة على نفسها. يبدو أنهما سيبقيان في هذا المكان معاً لفترة من الوقت، لذا يستحسن بناء علاقة حيادية بينهما، كي يعرف كلّ واحد منهما مكانته. يجب أن يضعا حدوداً لا يتجاوزانها. عليها ألا تنظر إليه كرجل، إنه سائق السيارة بحق السماء! كما أنه حارس أوكلت إليه مهمة السهر على...

ـ يا إلهي!.

جمد في مكانه وسأل:

ـ ما الخطب؟.

ـ العقد! يفترض بك الانتباه للعقد!.

علت وجهه نظرة عدم رضى:

ـ أنت تتصرفين كباقي النساء! ها أنا أنقذك من الخطر، وأؤمّن لك المأوى والأمان، وكلّ ما تستطيعين التفكير فيه هو تلك اللآلىء اللعينة!.

مدّ يده إلى جيبه وسحب الجواهر ووضعها في راحة يده، فانعكس لونها البراق على بشرته الداكنة، وابتسم ساخراً ثم أضاف:

ـ تفضلي! هل أنت راضية الآن؟.

لم تشعر كيري بالرضى. فقد اعتادت أن يكرّمها الشبان ويولونها الكثير من الاحترام، لا أن يتصرّفوا معها بتبجح وعدم تهذيب.

ـ لا بدّ أنك تشعر بالرضى لأنك لم تفقد هذه الجواهر، فهي تساوي أكثر بكثير ممّا تكسبه من وظيفتك.

ابتسم جاي. لقد أدلت كيري بهذه الملاحظة لتعيده إلى مكانه، وتذكّره بأنه السائق، ولكن ما لا تعرفه سيدة الحسن والجمال هو أن هذا الرجل ليس كغيره من الرجال. وضع الجواهر باستهتار في جيبه، ووافقها على كلامها:

ـ أنتِ محقة، لا يمكنني أن أضيّع الجواهر فيظنون أنني سرقتها لأبيعها في السوق السوداء! والآن لنرى إن كنا نستطيع أن نجد شمعة في مكان ما هنا. علينا أن نشعل النار في المدفأة. لكن لنتحقّق أولاً من باقي المنزل.

كانت أسنانها تصطك:

www.elromancia.com

- نتحقق من باقي المنزل بحثاً عن ماذا تحديداً؟.

شعر برغبة في المزاح وبأن يقول لها إنه ينوي البحث عن جثث. لكنه تذكّر دموعها، فارتأى عدم المزاح بهذه الطريقة، لأن النساء يسمحن دوماً لمخيلتهن بأن تجمح.

- لنرى ما يمكننا أن نجد في هذا المنزل يا عزيزتي!.

ها هو يعيد الكرّة.

- أنا لست بعزيزتك!.

- حسناً، يستحسن إذاً أن نتعرف إلى بعضنا البعض، فأنا لا أعرف اسمك حتى.

بدا غريباً أن يتعرّفا إلى بعضهما البعض بهذه الطريقة، وكأن قواعد السلوك الاجتماعي برمّتها انقلبت رأساً على عقب، وأعيدت صياغتها من جديد.

تردّدت: «أدعى كيري! وأنا أيضاً لا أعرف اسمك».

شعر بترددها، فهي ليست واثقة من ضرورة أن يناديا بعضهما البعض بالاسم الأول. وأدرك أنها لا تعرف كيف تتدبر أمرها، فهي كالعصفور، إذا ما أخرج من قفصه لا يعرف كيف يحلّق. لعلّ الفكرة الأولى التي كوّنها عنها صحيحة، فهي امرأة باردة كالثلج، لا تنزف نقطة دم، ولا تتجاوب مع أي شغف.

ردّ بتهكم: «أدعى جاي لينور».

اسمه غريب، ولعلّ هذا ما جعله مناسباً له. وشعرت مجدداً بضرورة وضع حواجز بينهما:

- هل أنت ... أمريكي؟.

عرف تماماً ما الذي تحاول فعله، فلمعت عيناه.

- بالرغم من اهتمامك باسمي، فأنا أرتجف من البرد. فلما لا نؤجل هذا الحديث قليلاً ريثما نلقي نظرة على المكان؟ أترغبين في استكشاف المكان؟.

- وهل أملك خياراً آخر؟.

- يمكننا أن نقف هنا ونتحدث بتهذيب.

- لا أود أن أضعك في موقف حرج يصعب عليك التعامل معه.

ابتسم ابتسامة صغيرة.

- لعلك محقة.

بدا قوياً لا يخشى شيئاً. حاولت ألا تخاف، لكن من يدري ما قد يجدان في هذا المنزل الغريب الفارغ؟ بقيت كيري قريبة جداً منه من دون أن تلمسه.

وعلى ضوء الولاعة، تقدّمها وسار نحو المطبخ الذي لم يبدُ أبداً كما تخيلته كيري، فهي لم ترَ شيئاً مماثلاً له في حياتها.

راحت تنظر من الباب إلى الأواني القديمة. قال بنعومة:

- سأحاول إيجاد شمعة، انتظري هنا.

لن أبارح مكاني، هذا ما فكرت فيه يائسة. وراقبته يختفي في الظلمة. إنه لا يحتاجني ولكنني بحاجة ماسة إليه. كانت تسمعه يفتح الأدراج والخزائن. وفجأة، صدر عنه صوت يدلّ على أنه وجد ضالته، فعاد يحمل شمعتين. سلّمها شمعة فيما تلألأت عيناه على ضوء الشمعة التي يحملها في يده.

- احمليها بتأنٍ!!.

www.elromancia.com

ـ أنا قادرة على حمل شمعة.

لمحت نظرة الشك في عينيه، نظرة لم يحاول إخفاءها.

ـ هيا، سنستكشف الطابق العلوي أولاً.

وجدا ثلاث غرف نوم غير واقعية ومخيفة، فالأسرّة خالية من أي شراشف. وما من دليل على أن أحدهم استعمل هذه الأسرّة يوماً.

ـ أشعر أنني الحسناء في رواية الحسناء والدبب الثلاثة. ففي أي لحظة سنصادف الدببة التي اقتحمنا منزلها؟.

ـ لم أحبّ يوماً الحساء. تعالي، ما من جدوى من بقائنا هنا.

وجدا حماماً كبيراً ومغطساً. توجّه جاي نحو المرحاض وضغط على كبسة المياه فتدفقت المياه. قالت كيري: «هذا أمر جيّد».

من حسن حظها أن المكان مظلم وإلاّ للاحظ أنها احمرّت خجلاً، فهي لم تعش يوماً إلا مع عائلتها، ودخول الحمام بقي موضوعاً حميماً لم يتم التطرق إليه.

نزلا مجدداً إلى الطابق السفلي، واتجها في الإتجاه المعاكس للمطبخ. فتح جاي الباب ونظر إلى الغرفة المظلمة.

ـ إنه القبو، أتريدين استكشافه؟.

ـ لا، لا أظن.

في الناحية المقابلة من الردهة، لاحظا باباً كبيراً مصنوعاً من خشب السنديان. فتح الباب وانتظر ريثما توقفت فتيلة الشمعة عن الاهتزاز ثم قال بصوت رقيق ملؤه الحماسة:

ـ تعالي وانظري يا كيري!.

توجهت كيري نحوه ونظرت إلى حيث يدلّها:

ـ يا إلهي! أشعر وكأنني علاء الدين!.

ـ نعم، أعرف ما تعنين!.

كان الأمر أشبه باكتشاف كنز مفقود على غفلة. وجدا أمامهما غرفة قديمة فخمة بدت وكأنها من عصر آخر. رفع جاي الشمعة، فلاحظت كيري أن الغرفة شاسعة إلى حدّ أنها عجزت عن رؤية آخرها كما بدا السقف مرتفعاً للغاية أيضاً.

سألت: «أين نحن؟ وما هذا المكان؟».

كان منشغلاً بإخراج الشموع من جيبه وإضاءتها، واضعاً إياها في صحن معدني على طاولة صغيرة.

ـ لا أعلم، والحق يقال إنني لا أرغب في أن أعرف.

أضاءت الشموع المكان بشكل مذهل. ومع تلاشي الظلام، تجلّت الغرفة رائعة خلابة، بنوافذها المقنطرة العالية، ومدفأتها الكبيرة التي وُضعت على جانبيها أريكتان طويلتان. في إحدى الزوايا، رأيا البيانو ورفوفاً من الكتب كما لاحظا الصور المعلّقة على الجدران.

همست: «المكان أشبه بكنيسة».

سألها بصوت عادي تردّد صداه في الغرفة:

ـ لِمَ تهمسين؟.

ـ لا أعلم. على أيّ حال، أنت أيضاً تهمس.

بدأت أسنان كيري تصطك بعد أن هبطت حرارة جسمها، فأردفت:

ـ لكن، مهما كان هذا المكان، فهو أشد برودة من الخارج.

www.elromancia.com

ـ نعم.

اقترب من المدخنة. إنها قديمة الطراز وكبيرة لم يعهد مثلها من قبل، قال:

ـ إذاً، لما لا أشعل هذه، فيما تذهبين أنت للبحث عمّا يمكن إيجاده.

نظرت إليه بعينين فارغتين، فتنهد وقد نفد صبره، ثم تابع:

ـ ابحثي عن طعام، شراب، قهوة. أي شيء قد تجدينه.

نظرت كيري إلى الظلمة بخوف:

ـ بمفردي؟.

رفع نظره إليها. إنها تتصرّف كبقية النساء اللواتي يجهلن معنى كلمة «مبادرة».

ـ أتريدينني أن أرافقك وأمسك بيدك؟.

ـ لا، طبعاً لا..

ـ ما من شيء يدعو للخوف. تفضلي، خذي هذه الشمعة معك.

ـ بالكاد سأتلمّس طريقي في هذه الظلمة. لكن وقبل أن أقدم على أي حركة، سوف أتخلص من هذه القبعة.

ضاقت عيناه وهو ينظر إليها تخلع القبعة عن رأسها، ثمّ تنفض شعرها المتموّج كظلمة الليل لينزل على كتفيها. جاءت حركتها ساحرة، قاطعة للأنفاس، فتساءل ما إذا كانت حركتها طبيعية أم أنها تعلّمتها خلال عملها. قال في سرّه: ركّز على العمل وحسب.

إلا أن العمل الذي كان ينوي إنجازه استحال إلى شيء آخر مختلف تماماً. تراجع إلى الخلف وجالت عيناه على ساقيها

الطويلتين. شعر بنبضات قلبه تتسارع، وهو ردّ فعل طبيعي عند التواجد مع امرأة جميلة. يا إلهي، لم يساوره مثل هذا الشعور منذ وقت طويل.

ـ هيا اذهبي، فحلقي جاف.

اذهبي! اذهبي!!.

ـ لا تتحدث إليّ بهذه اللهجة.

نظر إلى الأعلى وسأل:

ـ وأي لهجة هذه؟.

كما لو أنه رجل من رجال الكهوف، وهي امرأته، تهرع لتحضير ما تمكّن من اصطياده. وظهرت البدائية في طريقة إشعاله النار في المدخنة.

ـ أنت تعلم تماماً عن أي لهجة أتحدث!.

ـ أتعنين أنك عاجزة عن التحدث مع رجل لا يمدحك؟.

ـ لا تنسب إليّ كلاماً لم أقله.

لو لم تكن قدماها تؤلمانها، ولو لم تكن تخشى أن تنطفىء الشمعة، لهرعت إلى خارج الغرفة. لكن يبدو أن جاي لينور لا يتأثر بمثل هذه الأمور، لذا اكتفت بالاستدارة والخروج مستقيمة الظهر، ورافعة الرأس.

اتجهت إلى المطبخ وبحثت في أرجائه. رأت فرناً قديماً بدا وكأنه عرف أياماً أفضل، وطاولة خشبية، ولوحاً عليه بضعة أكواب وعلبة من أكياس الشاي القديمة.

وضعت الماء في آلة التسخين الكهربائية، لكن تلك الأخيرة لم

www.elromancia.com

تعمل وتذكرت السبب، فهرعت إلى الغرفة الكبيرة حيث تمكن جاي من إشعال نار خفيفة.

ـ ما بك؟.

ـ لم تشتغل آلة التسخين! أتذكر؟ ما من كهرباء في المنزل.

نظر إليها بإمعان:

ـ وماذا عن الغاز؟ ألم تتأكدي ممّا إذا كان الغاز يعمل؟.

أرادت أن تقول له إنها عارضة أزياء وليست فتاة من الكشافة، وإنها لا ترغب في شرب شيء ساخن، وإن كان يريد ذلك، فليذهب ويعدّه بنفسه. لكن شيئاً ما في تعابير وجهه منعها من النطق. بقاؤها هنا معه أشبه بكابوس حقيقي، لكن هذا الكابوس كان ليسوء أكثر لو لم يكن هنا. أقرّت بندم:

ـ لا، لم أفعل.

ـ إذاً، أقترح أن تذهبي وتحاولي مجدداً.

ها هو يعيد الكرّة، يطردها كما لو أنها طفلة صغيرة. يجب حسم هذا الأمر، لا بل يفترض حسمه على الفور.

ـ أسبق أن قال لك أحدهم إنك تفتقر إلى الكياسة؟.

ـ أتريدينني أن أتصرف بكياسة يا كيري؟.

شعرت بالاضطراب لسؤاله ولنظرة التحدي التي بانت في عينيه. وفجأة، أيقنت أن شعوراً غريباً ينتابها، شعوراً أصابها بالخدر. كما لو أنها ... هزّت رأسها تطرد كلامه ورمته بابتسامة باردة كفيلة بإخافة معظم الرجال، وقالت:

ـ لا، على الإطلاق. لكن سأكون ممتنة إن خففت من تعجرفك

وتوقفت عن إصدار الأوامر بطريقة متعالية.

رفع حاجبيه ساخراً:

ـ ألا تعجبك طريقة كلامي؟

ـ ما من امرأة تحب هذا!.

ـ أستطيع أن أعرّفك إلى آلاف النساء اللواتي يحببن طريقة الكلام هذه.

قال هذا وهو يفكّر في امرأتين بشكل خاص.

ـ لكنني لست واحدة منهنّ.

راقبها تخرج من الغرفة في تلك التنورة الجلدية المثيرة، وتخيّل رقتها على بشرتها.

في المطبخ، بحثت كيري بسرعة في كافة الأرجاء، وهي تحاول التخلص من ذلك الشعور الغريب الذي يتسبب لها بدوار، ويجمّد الدم في عروقها.

أحسّت بخديها يلتهبان. إنه المسؤول عمّا يصيبها، فقد أحيا فيها أحاسيس مجهولة وغير مرغوبة. يا له من متفاخر ومغرور!

لعلّها تخيّلت أنه سيشعر بالخجل في حضورها كما يحصل لغالبية الرجال الذين يشعرون بالدوار وينظرون إليها كما لو أنها من عالم آخر لأنها عارضة أزياء. لا بدّ أنه يشعر بالخجل، فهو سائق في النهاية، بغض النظر عن الوسامة التي أنعم بها الله عليه.

رفعت يديها إلى خديها الملتهبين، وهي غاضبة من ردّ فعلها الذي لم تعد قادرة على السيطرة عليه.

حان الوقت لكي تستعيد السيطرة على نفسها. عليها أن تتذكر

www.elromancia.com

أنها إذا لم تجاره فلن يتصرف بجرأة. وإن ابتسمت عندما يحاول إغاظتها فسرعان ما سيسأم ويكفّ عن هذا التصرف.

وجدت قدراً في إحدى الخزائن فسحبته وكسرت ظفرها وهي تحاول إغلاق الخزانة. وماهي إلا دقائق حتى عادت إلى الغرفة الكبيرة وهي تحمل كوبين من الشاي الأسود الساخن. كان جاي قد أشعل النار وراحت ألسنة اللهب الصفراء تتراقص مضفية سحراً ودفئاً على الغرفة.

خلعت معطفها وتوجهت نحو النار. ناولته كوب شاي ثمّ تربّعت على الأرض متمنية لو أنها ارتدت ثياباً دافئة ومريحة أكثر من هذه التنورة الجلدية، وتساءلت لما عساها ارتدتها في مثل هذا اليوم البارد.

ذكّرت نفسها بأنها ارتدت هذه التنورة لأنها تتماشى مع الموضة، ولأن مصمّم الأزياء رجاها أن تقبلها كهدية منه.

كان جاي لينور قد خلع سترته الجلدية، إلا أنه وعلى عكسها يرتدي ملابساً عادية وعملية. فهو يرتدي سروال جينز باهت اللون يغطي ساقيه الطويلتين وسترة غامقة اللون تلتصق بصدره. تراقصت ألسنة النار وعكست نورها على شعره الأسود اللماع السميك.

لاحظت أنه يبدو مرتاحاً كما لو أنه في منزله، يمشي على السجادة ويراقب اشتعال النار في المدفأة فخوراً بما أنجزه. أدار رأسه نحوها يتأملها.

وضعت كيري كوب الشاي أرضاً وانزعجت عندما لامس ظفرها المكسور شعرها. سألها برقة:

ـ هل أذيت نفسك؟.

ـ لا، لكنني كسرت ظفري ولا يمكنني أن أبرده لأنني تركت علبة التبرج خاصتي في السيارة!

ضحك ضحكة قصيرة.

ـ درجة الحرارة في الخارج تدنت إلى ما دون الصفر، والثلج ما زال يتساقط بغزارة، ونحن عالقان في مكان مجهول... وكل ما تستطيعين التفكير فيه هو ظفرك المكسور.

راحت كيري تدافع عن نفسها:

ـ الأمر ليس غروراً، كلّ ما في الأمر أن وظيفتي تعتمد على أظافري وغيرها من الأمور! وعليّ أن أصوّر إعلاناً لطلاء الأظافر الأسبوع المقبل.

هذه هي المرّة الأولى في حياتها التي تبرّر فيها تصرفاتها لشخص ما. لما عساها تفعل هذا، وله على وجه التحديد!.

تناول جاي كوب الشاي، وارتشف منه قليلاً ثم ابتسم متسائلاً عن هذا العالم الذي يعني فيه كسر الظفر الكثير. إنه ليس بعالم يستطيع أن يحيا فيه بالتأكيد.

وضع الفنجان أرضاً بقرف وسأل:

ـ ماذا وضعت في الفنجان بحق السماء؟ زرنيخ؟.

ـ أرجوك لا تغرني لأضع لك الزرنيخ! استعملت ما كان متوفراً وحسب، أي أكياس من الشاي بدت وكأنها من العصور الوسطى.

ـ لا أظن أن من عاش في القرون الوسطى عرف أكياس الشاي!.

كادت كيري تضحك، لكنها لم تفعل. وتذكرت أنّ عليها أن تضع حدوداً بينهما.

ـ أتملك جواباً على كل شيء يا سيد لينور؟.

نظر إليها. نعم، كان الجواب مرسوماً على وجهه. إنه يريدها بكل جوارحه. وهمس:

ـ جرّبيني! اسأليني أي سؤال يخطر في بالك!.

ها هو الشعور عينه يراودها، شعور بعدم السيطرة على النفس كما لو أنها فقدت توازنها فجأة. ابتلعت ريقها:

ـ حسناً، كيف تنوي إخراجنا من هنا؟.

٣ ـ بعيداً عن العالم

تنهّد جاي:

ـ أنا لا...

رفعت كيري حاجبيها. وفكّر في سرّه: لا تقلقي يا عزيزتي، فمجرّد التفكير بقضائنا الليلة سوياً هنا يرعبني أيضاً، ثم قال:

ـ الفكرة مرعبة لكن لا يسعنا فعل شيء أقلّه حتى يتوقف الثلج عن الهطول، كل ما بوسعنا القيام به هو الجلوس هنا والانتظار.

ازداد شعورها بالانزعاج.

ـ لكم من الوقت؟.

ـ من يدري؟ حتى يبدأ الثلج بالذوبان أو يجدنا أحدهم.

ـ ومن عساه يعلم كم سيطول هذا الأمر؟ فأنت لم تحاول حتى الاتصال طلباً للمساعدة!.

ـ هذا غير صحيح فقد تأكدت من عدم وجود هاتف هنا.

ـ كيف يعقل أن يخلو منزل ما من هاتف في عصرنا هذا؟.

ـ للسبب نفسه الذي أدّى إلى غياب التلفزيون. أظن أن هذا المنزل مخصّص للعطلة وأن مالكيه أصرّوا على غياب وسائل الاتصال فيه، لذا لم يضعوا هاتفاً أو تلفزيوناً.

ـ ولمَ عساهم يفعلون شيئاً كهذا؟.

www.elromancia.com

ـ للأسباب المعروفة، فالهاتف والتلفزيون يسببان الضغط النفسي، وبعض الناس لا يحبون هذا. لهذا، يذهبون في رحلة بحرية أو يتسلقون الجبال أو يشترون منزلاً كهذا على سبيل المثال.

قسا صوته فجأة، وبدا أنه يعرف تماماً معنى الهروب. وتاقت كيري فجأة إلى الأمان والسكينة. أرادت العودة إلى شقتها في لندن، تلك الشقة النظيفة العصرية التي هي أبعد ما يكون عن هذه الخربة. أرادت العودة إلى شقتها حيث يمكنها أن تدير جهاز التدفئة بكبسة زرّ وحيث تسير السيارات وسيارات الأجرة بسهولة في الخارج.

رغبت بالعودة إلى ذاك العالم حيث يرتدي الرجال ثياباً كتانية وحريرية ويوجّهون لها الثناء عوضاً عن النقد، وينظرون إليها بدهشة ويتحركون ليلفتوا انتباهها إلى عضلات أجسامهم القوية.

وبسرعة حوّلت نظرها إلى المدفأة.

ـ يا لسخرية القدر! هذا المنزل مخصّص ليهرب الناس إليه من مشاغلهم ونحن عاجزان عن الهروب منه!.

ـ كان يمكن للأمر أن يصبح أسوأ، على الأقل في الداخل.

هذا صحيح. إنهما في الداخل. بمفردهما.. وكانت كيري محقة، ما من قوانين تحكم التواجد في حالة مشابهة.

ـ إذاً، ماذا سنفعل؟.

استقام وردّ:

ـ أولاً، علينا أن نأكل.

ـ نأكل؟!!!.

ـ أنت تأكلين، أليس كذلك؟ ولكن على ما يبدو تأكلين قليلاً جداً.

نظر إليها، إنها هزيلة للغاية. ساقاها طويلتان هزيلتان، وركاها ضيقان. كان جاي يحب النساء ذوات الأجسام الممتلئة القادرات على أسر أيّ رجل.

ـ آكل كفايتي، كما وأن الجسم الممتلىء ليس موضة رائجة في هذه الأيام.

ـ لم أفهم يوماً سبب ذلك.

ـ لأن الملابس تبدو أجمل على الأجسام النحيفة.

ـ ولكن الفتاة العادية الممتلئة الجسم أفضل من تلك الهزيلة.

ـ أشكرك لأنك أوصلت حديثنا إلى هذا المستوى المنحرف.

ـ لم أكن أنوي هذا.

ـ أتقول إنك لا تحبّ النساء الهزيلات؟.

ضاقت عيناه:

ـ حذارِ يا كيري، يبدو أنك تسعين للحصول على ثناء، وأظنك تسمعين الكثير منه عادة.

كلامه لا يخلو من الصحة، فهي غالباً ما تسمع المديح على شكلها الجذاب، كما أن الرجال يحبون أن يراهم الآخرون بصحبتها، وقد اعتادت هذا الأمر منذ سنين المراهقة. إلا أن الجمال سيف ذو حدّين، وقد اكتشفت هذا من خلال خبرتهافي الحياة. جنت رزقها من خلال الاعتماد على مظهرها الخارجي، لكنها تمنّت غالباً أن ينظر الناس إلى ما هو في أبعد من شكلها الخارجي، فيرون عدم الأمان الذي يتملّكها.

ومن دون أن تنتبه مرّرت يدها في شعرها.

www.elromancia.com

ـ لا، لن أحاول الحصول على ثناء، فلا بدّ أنني أبدو بحال مزرية.

تجعّد شعرها بسبب القبعة التي اعتمرتها، ولم يتسن لها أن تسرّحه، فانسدل فوق سترتها الحريرية. وتلوّن خداها بلون زهري جراء النار المشتعلة بقربها والمسافة التي قطعتها سيراً في الثلج. وبالرغم من ذلك بدت جذابة ومثيرة أكثر ممّا بدت عليه عندما كانت تصوّر الإعلان وهي تضع اللآلىء.

ـ إن كنت تصرين على المعرفة، فأنتِ تبدين كحورية من حوريات الغابة، حورية استفاقت لتوها من سبات عميق.

لم تلقَب يوماً بالحورية وراقتها شاعرية هذا الوصف. سرّت للحظة، ثم عادت وذكّرت نفسها بأن ما يجري حالياً هو جنون مطبق.

جنون بكل ما للكلمة من معنى.

فعارضات الأزياء مشهورات بكبريائهن، وهو أمر لا بدّ منه في مهنة تعتمد أساساً على المظهر الخارجي. وكبريائها هذه لا تسمح لها بتوقع المديح من سائق سيارة يقتحم المنازل وتظهر عليه سمات الغموض والخطر.

وفجأة شعرت بأنها سمكة صغيرة تسبح بعيداً عن محيطها.

ـ ألم تتحدث عن تناول الطعام؟.

ـ بلى، ما رأيك لو نقتسم المهام بشكل عادل؟ سأذهب للبحث عن مزيد من الحطب للمدفأة ويمكنك أن تحضّري لنا ما نأكله.

ـ عندئذ، ستكون محظوظاً.

ـ أحقاً؟.

ـ كل ما في الأمر هو أنني لا أطهو، أعني أنني لا أجيد الطهو.

ـ لا أتوقع منكِ أن تحضري خروفاً محشواً لإثارة إعجابي، بل حضّري أي شيء تجدينه وحسب.

أثير إعجابك! لا بدّ أنك تحلم!.

ـ ما من طعام في المنزل، بل بعض المعلبات وحسب.

ـ إذاً، اذهبي وافتحيها!.

ونظر مجدداً إلى النار في المدفأة.

وسرعان ما اكتشفت كيري أن الكلام أسهل من الفعل لأن فتاحة العلب تستحق أن تُعرض في متحفٍ لقدمها.

دخل جاي إلى المطبخ ليراها تضرب العلبة بقوة على الطاولة. يا للروعة! لقد انتابتها نوبة غضب!.

ـ أتواجهين صعوبة في فتح العلبة؟.

ـ لِمَ لا تجرب فتحها بنفسك؟.

تناول العلبة وقرأ الملصق الموضوع عليها.

ـ خوخ معلّب؟.

ـ يبدو واضحاً أنّ ما من فاكهة طازجة.

ـ لم يكن هذا ما عنيته.

ـ حسناً، لم يكن أمامي خيارات كثيرة!.

ـ إن كنت تظنين أنني سأشبع من بضع حبات من الخوخ، فأنت مخطئة.

ـ إذاً، هل تمانع في أن تفتح العلبة لي؟.

فتح العلبة بسرعة ووضعها جانباً كما لو أنها ملوّثة، ثم راح

يبحث في الخزائن حتى وجد علبة معكرونة وعلبة صلصة باللحم، فوضعهما على المنضدة.

ـ ومما تشكو هذه؟.

شعرت أنّ ما من جدوى من شرح مستلزمات الحمية التي تتبعها، لكنها قالت له:

ـ أنا لا آكل الحنطة ومشتقاتها.

تنهد جاي! تباً للنساء وحميتهنّ!.

ـ أنا آكلها، فهلاّ حضّرتها لي!.

ورآها تفتح فمها لتعترض، فأردف:

ـ إلاّ إن كنت تفضّلين الاهتمام بالنار؟.

رأت نظرة تحدٍ ساخرة في عينيه، فهو يعلم تماماً أنها لم تهتم يوماً بتأمين الحطب. إلا أنها تعرف عدداً كبيراً من الناس الذين يجهلون كيف يهتمون بالنار ويشعلونها. أتراه يحاول أن يشعرها بأنها غريبة؟ فلمجرد أنه شبيه برجل الكهف، هذا لا يعني أن بقية الناس مثله.

ـ حسناً، سأحضر لك الطعام.

ـ جيد.

استدار وابتعد من دون أن يتفوه بكلمة أخرى، فيما راح يفكّر كم تبدو جميلة. تحقق من سلة الحطب، ثم بحث في إحدى الخزائن عن أغطية تساعدهما على البقاء دافئين في الليل فوجد ضالته.

عاد إلى المطبخ وقد ارتسمت على وجهه علامات الظفر، حاملاً بين يديه غطاءين وضعهما على الطاولة.

ـ انظري ماذا وجدت.

نظرت كيري من فوق الطنجرة التي تغلي. لقد وقع نصف علبة المعكرونة خارجاً عندما كانت تفرغها في الطنجرة كما أحرقت إصبعها.

ـ لقد وجدت غطاءً، هذا جيد.

ـ إنه ليس غطاءً عادياً بل من الصوف الأصلي الباهظ الثمن.

دُهشت كيري عندما تحدّث عن معرفة عن نوع الحرام.

ـ أنت تعرف بالكشمير إذاً؟.

التمعت عينا جاي، إذ تجلّى ما تفكر فيه في نبرة صوتها.

ـ لقد تفاجأت. لأنني مجرد سائق، ظننت أنني جاهل أميّ.

ـ لم أفكر في الأمر كثيراً.

كاذبة! يا لك من كاذبة! فقد تصرّف مثلها تماماً، منذ أن تعرّف إليها. فصنّفها كبقية عارضات الأزياء، وانتقد أنواع الطعام التي يتناولنها وملابسهن الفخمة.

نظرت كيري إلى الطنجرة وابتسمت. سبق لها أن رأت طعاماً يثير الشهية أكثر من هذا، موضوعاً في قدر مخصصة للكلاب.

ـ هل أسكب لك هذا؟.

تمتم: «أتوق بشدة إلى تناوله».

حملت القدر الثقيلة بيديها الضعيفتين فشعر بأنها ستوقعها أرضاً.

ـ لم أجد مصفاة في أي مكان!.

ـ ناوليني إياها!.

رفع كمي سترته وأخذ القدر منها قبل أن توقعها واستخدم الغطاء

www.elromancia.com

ليصفي الماء وهو يهز رأسه.

ـ لا أصدق أنك بلغت . . . كم عمرك؟.

ظنت أن ما من فائدة من إخباره أن عمرها لا يعنيه، فقالت:

ـ ستة وعشرون عاماً.

ـ ستة وعشرون عاماً ولا تجيدين تحضير المعكرونة!.

ـ نحن في القرن الواحد والعشرين، وليس لزاماً على المرأة أن تجيد الطهو.

ـ أشفق على الرجل الذي سيقترن بك!.

ـ لا تقلق بهذا الشأن.

جاء جوابها أشد قسوة مما شاءت لأن انتباهها انصبّ على عضلات يديه التي يغطيها شعر داكن كشعر رأسه.

ـ أتعنين أن ما من مرشح محظوظ حالياً؟.

شعرت بنبرة صوته تتغيّر والتقت أعينهما للحظة طويلة لم يتفوّها خلالها بكلمة. تأثرت بنظراته فشعرت بأنها حجر تسمّر في مكانه، لا بل شعرت بأنها تمثال من طين أكثر ليونة من الحجر.

هذا تماماً ما تشعر به حالياً، تشعر أنها طيّعة ليّنة.

لقد اعتادت كيري أن ينظر الرجال إليها باهتمام بالغ، لكنها لم تصادف في حياتها رجلاً أثرت فيها نظرته إلى هذا الحد. لمعت عيناه ورفّتا قليلاً، وأسرتها ابتسامته التي توحي بالكثير. لكن هذا يكفي!

ما الذي يكفي؟ أيقنت أن هذا الرجل مختلف تمام الاختلاف عن أولئك الذين التقتهم في حياتها. فهو قوي وذكي وقادر على معرفة أنواع الحرامات الصوفية ومميّزاتها.

أرادت أن تطلب منه ألاّ ينظر إليها بهذه الطريقة! أرادت أن تخبره أن ما من أمل ولو ضئيل بأن يحصل ما يجول في فكره! لكنها لم تجرؤ على التساؤل عمّا سيكون عليه شعورها إن احتضنها بين يديه القويتين وعانقها بشغف.

قال برقة:

ـ كيري!.

بدا صوته بعيداً، آتياً من عالم آخر، بعيداً كل البعد عن الشعور الذي يختلج في داخلها في تلك اللحظة.

ـ ن. . . نعم!.

لاحظ نظرة الارتباك في عينيها، فأشاحت بوجهها بسرعة. إذاً، لقد شعر بهذا هو أيضاً، شعر بهذه الجاذبية التي تتملكك من دون أن تدري.

لا، هذا ليس صحيحاً. لقد توقّعها. إن تواجد رجل جذاب مع امرأة جذابة في ظروف ملائمة، يؤدّي إلى نتيجة متوقعة ومعروفة.

اعتاد جاي على أن ترغب النساء فيه منذ أن بدأ يرغب فيهن.

إلاّ أن سيدة الحسن والجمال هذه مختلفة. إنها امرأة حذرة، وهذا أمر طبيعي نظراً لجمالها. إنها حذرة مع الرجال لأنها تعلم بأنهم يريدونها! وأي رجل عاقل لا يرغب فيها!!! ولا يمكن للرجل أن يثير لدى امرأة كهذه شعوراً بالرغبة نحوه ما لم يتصرف بذكاء وحنكة.

وضعت كيري صحناً على الطاولة ويدها ترتجف.

ـ ألن تأكلي؟.

ـ لن آكل هذا! سأتناول الخوخ.

www.elromancia.com

ـ أنتِ تمزحين؟.

ـ لا جاي أنا لا أمزح، كما لا يفترض بي تناول وجبة ثقيلة قبل ... أعني بعد السادسة.

أنهت كلامها ورطّبت شفتيها وقد احمرّت وجنتاها. أوشكت أن تقول قبل موعد النوم، لكنها تمكّنت من استبدال كلمتها بسرعة وتغييرها.

هزّ كتفيه يتناول المعكرونة وقد أعجب بالطريقة التي لفظت فيها اسمه، ببطء وعذوبة كما لو أنها مزجت الكلمة بالعسل. راقبته وهو يتناول ما بدا بالنسبة إليها كمية كبيرة من الطعام.

ـ أنت لا تنوي حقاً تناول كل هذا الطعام بمفردك؟.

نظر إليها وردّ بحزم:

ـ شهيتي كبيرة.

شعرت كيري أنّ ساقيها عاجزتان عن حملها. أيعقل أن يقضي الشعور بالرغبة على كل تفكير سويّ ومنطقي؟ راحت تذكّر نفسها: إنه السائق، إنه السائق.

ثم قالت ببرودة وهي تضع الخوخ في الصحن:

ـ إذاً، عليك أن تحذر وإلا استحالت هذه العضلات دهناً.

ـ لا أظن هذا، فإن بقي الرجل نشيطاً لا يصبح بديناً، وأنا نشيط للغاية، والآن، فلنأخذ هذه الأطايب إلى الغرفة المجاورة، يمكننا الجلوس قرب النار و...

سألت بحذر:

ـ وماذا؟.

ـ يمكنك إخباري قصة حياتكِ!.

ولمعت عيناه بترقّب.

٤ ـ رجل المهمات الصعبة

في طريقها من المطبخ إلى غرفة الجلوس، حاولت كيري تمالك أعصابها بالرغم من شعورها بالدوار كما لو أنها فتاة تفكر للمرة الأولى برجل ما.

لا شك أنه وسيم، وأنها منجذبة إليه بطريقة محيّرة. ولا بد أن يكون المرء مصنوعاً من حجر لئلا يلاحظ جسمه الرائع ووجهه الساحر. كما أنه اهتمّ بها وأوصلها إلى مكان آمن، والرجل الذي يجيد حماية المرأة يثير فيها أحاسيس كثيرة، أحاسيس لم تعرفها هي يوماً.

لكن الأمر يتجاوز هذا الشعور فقد قضت حياتها محاطة برجال وسيمين بهيّي الطلعة، اكتسبوا عضلاتهم من النوادي الرياضية، إلاّ أنها تعتقد أن جاي لينور لم يضطر يوماً إلى ممارسة الرياضة لتصبح عضلات جسمه مفتولة فهو يبدو وكأنه وُلد قوياً قادراً على كل شيء.

إن المظهر الخارجي مجرد قشرة، وهي أعلم الناس بذلك، وتدرك تماماً ما يمكن للمرء أن يخفي تحت القشرة. لكن جاي لينور مختلف، فهو يمتلك نوعاً من الثقة والراحة الداخليتين، وهذا أمر مفاجىء وغريب بالنسبة إلى سائق سيارة. كما أنه لا يبدي أي انزعاج من بقائه وحيداً مع امرأة غالباً ما تُفقد أكثر الرجال ثقة بأنفسهم القدرة على الكلام.

www.elromancia.com

لعل السبب في ذلك هو عدم خشيته من فقدان أي شيء، لذا يعاملها كما لم تعامل يوماً، كما لو أنها مجرّد امرأة عادية وهو رجل عادي.

هذا صحيح، إنه رجل عادي، رجل قادر على التصرّف عند المحن، رجل لن تراه مجدداً بعد انتهاء هذه المحنة. لذا يستحسن بها أن تنسى كل شيء عنه، وألا تفكّر بمظهره الخلاّب ووسامته.

كانت النار تتأرجح الآن، وراحت ألسنتها تتراقص. وضع جاي الغطاءين أرضاً ورتّبهما بعيداً عن النار قليلاً لئلا تطالهما ألسنة النار.

أخذت كيري نفساً عميقاً وحاولت تحويل انتباهها عن الحرامين. أين عساهما ينامان الليلة، بحق السماء! وبجهد حوّلت أفكارها نحو الرائحة المنبعثة من النار.

ـ آه!!.

ـ إنه خشب التفاح، مع بعض الخزامى اليابسة عليه، أليست رائحته ذكية؟.

أومأت كيري، وبعد لحظة طويلة من التردد، انضمت إليه على الأرض حيث كان يجلس، فهذا هو الحل الأمثل. الجلوس على الأرض بجانب المدفأة.

بدت جلستهما حميمة، إذ جلسا على الأرض بقرب المدفأة على ضوء الشموع. لم تنتبه يوماً لرومنسية الشموع بالرغم من أنها ارتادت عدداً كبيراً من المطاعم التي تُضاء فيها الشموع لإضفاء جو من الحميمية. لكن عليها أن تنسى الرومنسية والشاعرية وتقنع نفسها بأنها تتوهّم.

ـ كلي، تبدو ثمار الخوخ هذه شهية جداً.

لقد درّبت كيري نفسها على مرّ السنين وتعلّمت أن الشعور بالجوع أمر لا بد منه في حال أرادت أن تناسبها الملابس التي يختارونها لها لجلسات التصوير أو في عروض الأزياء. وخلافاً لما هو عليه الحال مع معظم زميلاتها، فقد أقلعت كيري عن التدخين، وكانت كلما شعرت بالجوع تلهي نفسها بمطالعة كتاب ما، أو بتنسيق الأزهار، أو بالخروج في نزهة.

أكلت خوخة وارتشفت جرعة ماء محاولة تجنب رائحة طعام جاي ومشيحة بنظرها كي لا تراه يلف المعكرونة على الشوكة ويأكلها بتلذذ شديد. وتساءلت كيف يمكن أن تبدو هذه المعكرونة والصلصة مثيرة إلى هذا الحد؟.

مرّ بعض الوقت من دون أن ينطق بأي كلمة، بل تناول طعامه ببطء وتلذذ واضح. ثمّ مدّ شوكة مليئة بالطعام ناحيتها وقال بنعومة:

ـ تفضلي، تذوقي بعضاً منها!.

ـ أنا لا آكل مشتقات الحنطة، أتذكر؟ أو اللحم الأحمر، وخاصة المعلّب منه.

وغضنت أنفها بقرف لم تكن تشعر به.

ـ كما تشائين.

أعاد الشوكة نحو فمه وأكلها، ثم بدأ بملء أخرى. أدركت ما يحاول القيام به، إنه يحاول حثّها على تناول الطعام في حين أنه يعلم أنها لا تريد ذلك. من جهة ثانية، كانت كيري تدّعي عدم الاكتراث في حين أن معدتها خاوية.

ـ هيا! أنت تعلمين أنكِ تريدين تناول بعض الطعام.

www.elromancia.com

كانت عيناه ساحرتين تتلألآن كجوهرتين، وهو يحمل شوكة مليئة بالطعام يقرّبها من فمها. تجاويت كيري وفتحت فمها فوضع الشوكة فيه من دون أن يسمح لها بالتفكير مدة أطول.

أغمضت عينيها خشية رؤية نظرة الانتصار في عينيه وراحت تمضغ الطعام وقد شعرت بلذة غرائزية تتملّكها.

همس: «هل وجدته لذيذاً؟».

فتحت عينيها، فرأت في عينيه نظرة الاستمتاع والرضى لأنه دفعها لاكتشاف الشعور بإشباع الجوع. تنهّدت ورمقته بنظرة حزينة:

ـ إنه لذيذ!.

أخذ المزيد من المعكرونة في الشوكة وناولها إياها:

ـ أترين ما كنت تفوّتين على نفسك؟.

هزت رأسها:

ـ لا، صدقاً، لا أستطيع...

فردّ عليها بلطف:

ـ اصمتي وكلي.

ابتلعت الطعام وهزّت رأسها مجدداً:

ـ لا يفترض بي تناول المزيد، حقاً جاي، أكلت عشاءك كله.

أراد أن يخبرها أنه سكب كمية كافية من الطعام لكليهما لكنّه عاد فغيّر رأيه. إن عرفت أنه خطط لهذا، فقد تعيد رفع دفاعاتها، وهذا ما لا يريده.

انتقلت الشوكة بين فمها وفمه، وكلما وضع لقمة في فمه أطبق على الشوكة بقوة، فبدت هذه الحركة غاية في الإثارة. ساد صمت

لم يخرقه سوى صوت الخشب المحترق، وتسمّرت عيناها عليه كما لو أنهما سحرتا بنظراته.

رطّب شفتيه وابتسم:

ـ واحدة لي ... وأخرى ... لكِ.

فتحت كيري فمها كفتاة مطيعة، وهي تشعر بالقوة والضعف في آن واحد. كان الطعام يملأ فمها بالدفء والطاقة، طاقة غريبة تسبب الخدر والعجز.

وسرعان ما فرغ الصحن، فنظر إليه جاي راضياً ثم قال:

ـ يا للخسارة، كنت أستمتع به.

وعنى بكلامه هذا طريقة الأكل وليس الأكل بحدّ ذاته.

وحوّل نظره إلى صحن الخوخ. قال بلطف وتحدّ:

ـ ما زال لدينا التحلية، حان دورك الآن!.

لم تستطع كيري. فمجرد التفكير في وضع الفاكهة في فمه كافٍ لجعلها ترتجف. سترتجف يدها حتماً، إنها واثقة من هذا وعندئذ سيعرف ما يدور في خلدها.

شعرت بالخدر في أطرافها الأربعة، كما أحسّت بالدم يجري بسرعة في عروقها كالسائل الحار. هزّت رأسها وقد أحست بدوار خفيف.

ـ أنا لا أريد، شكراً لقد شبعت.

لم يكن جاي يرغب بتناول الخوخ ما لم تطعمه بنفسها كما فعل معها، لكن سرعان ما استبدل شعوره بالخيبة بالتوقّع والإنتظار. فكّر في الفتاة الشقراء التي تلاحقه منذ أشهر، صحيح أنها لم تكن لتطعمه

www.elromancia.com

الخوخ لكنه سيستمتع برفقتها بطريقة أخرى.

أيقن أن وقتاً طويلاً مرّ منذ تملّكته الرغبة في الحصول على شيء، ليس واثقاً تماماً من قدرته على الحصول عليه.

ـ وأنا أيضاً.

قال هذا وتراجع إلى الخلف يسند ظهره إلى الأريكة ويراقب النار المستعرة، ثم سألها:

ـ منذ متى تعملين في مجال عرض الأزياء؟.

كسر سؤاله السحر الذي يسيطر عليها والذي أرادت كسره بشدة، إلا أنها اضطرت لمقاومة شعور الخيبة الذي انتابها. هذا النوع من الأحاديث أكثر أماناً، وأفضل!.

ـ منذ أن أنهيت دراستي الثانوية، لا بل قبل هذا.

يا لروعته ممدداً على الأرض يداعب بأصابعه كوب الماء! بحق السماء يا كيري، منذ متى تراودك خيالات كهذه؟ رفع حاجبيه وهو يحاول أن يتخيلها في الزي المدرسي وشعرها مشدود إلى الخلف.

وبجهد حصرت تفكيرها في السؤال الذي طرحه:

ـ كنت أزور لندن مع شقيقتي...

ـ أهي عارضة أزياء أيضاً؟.

هزّت كيري رأسها نفياً:

ـ لا، إنها أم.

وفكّرت بحزن.. وأرملة أيضاً. ثم تابعت:

ـ كنا نشرب القهوة في محطة «واترلو» حين تقدّمت منا امرأة وسألتني إذا ما فكّرت يوماً بعرض الأزياء.

ـ تماماً كما يحصل في الأفلام!.

ـ نعم، تقريباً.

ـ وهل كنتِ قد فكرت بالأمر من قبل.

تنهدت.

ـ لقد خطر الأمر في بالي بضع مرات وكان الناس يقولون لي إنّ عليّ أن أحاول، ولكن...

لمعت عيناه:

ـ ولكن ماذا؟.

ـ في الواقع، أردت أن أصبح مصممة ديكور، كما أنني كنت طويلة القامة ونحيلة، وخجولة.

ـ والخجل صفة لا تناسب من تريد العمل أمام الكاميرات وتحت الأضواء.

ـ هذا ما ظننته أيضاً.

لكنها سرعان ما أيقنت أن تلك الفتاة الهزيلة الخجولة تستحيل شخصاً آخر أمام عدسات الكاميرا.

وتابعت بصدق:

ـ كنت محظوظة، فقد تبخّر كل ذاك الخجل أمام الكاميرا. وقد اتضح أن وجهي محبّب للكاميرا ويظهر في الصور بشكل أفضل مما هو عليه في الواقع.

لم يوافقها الرأي، فهو يرى أنها أكثر رقة وجمالاً في الحياة الواقعية منها تحت الأضواء.

ـ أتعنين أن الكاميرا تحبك؟.

www.elromancia.com

- حتى الآن والحمد لله.

- وماذا سيحصل إذا توقفت عن حبك؟.

عبست. فقد سأل ومن دون أي مراعاة السؤال الذي تخشاه كل عارضة أزياء. فالعارضة تخشى أن تصبح عارضة العام الفائت، أو تلك التي سئم الجمهور من رؤيتها.

ردّت تدافع عن نفسها:

- تستمر بعض العارضات بالعمل لسنوات.

- لم يكن هذا ما سألته! سألتك ماذا سيحدث عندما تتوقفين عن العمل، لأن القليلات فقط يتابعن العمل عندما يكبرن في السن.

ارتشفت كيري جرعة ماء، فقد بدا هذا الرد أسهل من الإجابة بشكل مباشر عن سؤاله. فجاي يحسن طرح الأسئلة الصحيحة، أو الأسئلة الخاطئة. لم تستطع التفكير في جواب يرضيه أو يرضيها. ماذا تقول له: «إنها تحلم بحياة طبيعية؟». إن قالت إنها ترغب بالزواج وتكوين أسرة، فستبدو وكأنها بحاجة إلى رجل وأنّ ما من شخص في حياتها.

أيقنت أنها تحدّق إليه، وأملت ألا تلاحظ عيناه الثاقبتان احمرار وجهها. لكن حتى لو لاحظ هذا، فستعزو السبب إلى نار المدفأة.

حدّقت إلى اللهب المتصاعد:

- لم أفكر كثيراً في المستقبل.

- إذاً، هل تخليت كلياً عن رغبتك في أن تصبحي مصممة ديكور؟.

- أظنني فعلت.

ورفعت رأسها ثم تنهدت وأردفت:

- لقد أنجزت بعض المشاريع بهدف التسلية فقط. صمّمت ديكور شقتي وديكور منزل أختي، واستمتعت بهذا كثيراً.

- لِمَ لا تغيرين مهنتك؟.

- لأنني لم أتقدم في السن بعد، كما أنني لا أريد الإقدام على خطوة صعبة كهذه ما لم أكن أتمتع بالخبرة اللازمة. وللحصول على الخبرة عليّ أن أبدأ من جديد، ولست واثقة من رغبتي في ذلك، أقله ليس الآن.

- يمكنك أن تنشئي عملاً خاصاً بك.

عبست. منذ متى أصبح خبيراً في المهن؟ فهو ليس في موقع يسمح له بإسداء النصح. وغيّرت الحديث لتوجهه نحوه، فسألت:

- وماذا عنك؟ أتنوي أن تعمل كسائق بقية حياتك؟.

لاحظ تشديدها على كلمة سائق، فشرب جرعة ماء وابتسم. أرادت أن تضع مسافة بينهما، أن تخبره أنه يتعدى الحدود بطرحه أسئلة كهذه عليها، خاصة في وضعه الحالي.

تنهّد.. إن الناس يعلّقون أهمية كبرى على الوضع الإجتماعي بحيث يعجزون عن رؤية الأمور على حقيقتها، كما لو أنهم يختبئون خلفه خوفاً من الأسوأ.

- يكمن جمال هذه الوظيفة في أنها تأتي بسهولة وتذهب بسهولة أيضاً.

بالرغم من وصفه لوظيفته باستهتار، بدت مثيرة للاهتمام بطريقة مضحكة. فهي لم تخالط يوماً رجالاً لا يضعون طموحاتهم على رأس لائحة رغباتهم. سألت بفضول:

ـ هل لطالما فعلتها؟ أعني العمل كسائق؟.

كاد جاي يضحك عالياً، ولو لم يكن مرتاحاً تماماً لوضعه، لشعر بالإهانة. أتعتقد حقاً أنه قضى سنين عمره كلها جالساً وراء مقود سيارة، ينقل أشخاصاً مثلها يعيشون في عالم خاص بهم، بعيد كل البعد عن الواقع؟.

لم يشأ التحدث عن ماضيه، فالناس ولا سيما النساء يعجبن بالأشخاص الذين امتزجت حياتهم بالخطر والإثارة والحرمان. عضّ على شفته.

ـ لا ليس دائماً.

أثار ردّه المقتضب فضولها، فالرجال بحسب خبرتها مشهورون بحبّهم للتحدث عن أنفسهم.

ـ فعلاً؟ وبما عملت أيضاً؟.

شعر برغبة في السيطرة عليها وبوضع حد لكبريائها، لكنه كبح هذه الرغبة في الوقت الحالي.

قال باقتضاب:

ـ كنت جندياً في البحرية الأميركية، كنت من أسود البحر.

رفعت كيري رأسها إلى الأعلى، إنه يتكلم بجدية.

ـ ما معنى هذا؟ لقد سمعت بأسود البحر لكنني لا أعرف الكثير عنهم.

ارتاح قليلاً. إنها لا تعرف الكثير عن أسود البحر. في الواقع، عدم معرفة البريطانيين لطبيعة عمل أسود البحر كان أحد الأسباب التي دفعته للسفر إلى بريطانيا، فهو يحاول الهرب من نظرة الناس إليهم على أنهم أبطال منذ كان في الثامنة عشرة من عمره.

ـ أسود البحر جزء من البحرية، نحن نغطس إلى الأعماق السحيقة، ونقفز من المرتفعات الشاهقة، ونحصل دائماً على أجمل الفتيات.

ـ إذاً، كنت ضابطاً؟.

هذه المرة، لم يتمالك جاي نفسه فضحك. إنّ مثل هذا الفرق بين الرتب مهم للغاية بالنسبة إليها فالعنصر العادي لا يناسب سيدة الحسن والجمال. فردّ بحزم:

ـ نعم كيري، كنت ضابطاً.

هذا يوضح الكثير. القوة، والإطلاع، والثقة بالنفس، والهدوء في الأزمات، والجسم طبعاً، فهذه العضلات نتيجة التمرين المكثّف. لقد كانت محقة، إذ يستحيل أن يملك أحدهم جسماً كهذا، إن اكتفى بارتياد النادي الرياضي ولو بشكل مكثّف.

جنسيته الأميركية تفسر اللهجة الغريبة التي لم تسمعها من قبل، وسهولة التحدث معه. أفلا يعتبر الأميركيون أنفسهم السبّاقين في كسر الحواجز الإجتماعية؟.

ـ أنت أميركي؟.

بدأ جسمها يرتاح مع استمرار الحديث، وتذكّر ساقيها الطويلتين اللتين رآهما من المرآة في السيارة، فشعر بقلبه يخفق بسرعة. إنه مستعد للكلام من دون توقف إن كان الكلام يريحها ويجعلها تسترخي.

ـ أنا نصف أميركي ونصف بريطاني، أو ربما لست هذا أو ذاك.

لاحظ نظرة الاهتمام في عينيها، ولو اختلفت الظروف لغيّر الموضوع بسرعة. لكن انعزالهما عن العالم دفعه إلى الإفضاء بسرّه

الذي يحتفظ به لنفسه عادة:

- نشأت في البلدين بعدما تطلّق والداي. والدي أميركي ووالدتي بريطانية، وأنا أحمل الجنسيتين، وهذا ما خوّلني الدخول إلى البحرية.

ناهيك عن اختبار صعب للغاية لا ينجح فيه إلا أقوى الأقوياء.

رفعت عينيها بارتباك. لا بدّ أن البقاء في البحرية أفضل بكثير من عمله هذا.

- وهل اضطررت إلى ترك البحرية؟.

- أتعنين، هل طردت؟.

- لا، لم أعنِ هذا.

- بلى فعلت. لا لم أطرد بل حان وقت الرحيل وحسب.

- هل اكتفيت؟.

نعم لقد اكتفى. اكتفى مما شاهده ولمسه من ضعف الإنسان، وقصر الحياة، وحتمية الموت. فالبحرية لعبة الشبان، وتحتاج روح الشباب وشجاعته وإيمانه بنفسه. وعندما يختفي الشباب، يفقد المرء قيمته أمام نفسه وأمام الآخرين.

- شيء من هذا القبيل.

عندئذ، لم يعد قادراً على كبح دفق الذكريات. لكن هذه الذكريات لم تعد قوية كما عهدها في الأيام والليالي الخوالي، لدى انخراطه في فرقة أسود البحرية، لكنها قوية بما يكفي لتجعله يضطرب. ذكريات عن الموت والخيانة والشرف.. لطالما أتى الشرف في المقدمة، الشرف والخدمة.

- هذا العمل شبيه بعملك، سنواته محدودة وعمره محدود.

رأت عضلات وجهه تتشنج ولاحظت وللمرة الأولى أثر جرح في وجهه، فمدّت يدها كما لو أنها تنوي لمسه، لكنها لم تفعل.

- كيف حصل هذا؟.

قست عيناه واتسعتا.

- مجرّد جرح.

أدركت كيري أنه لا يفترض بها أن تضغط عليه أكثر، فأشاحت بنظرها بعيداً وقد تشتتت أفكارها. إنها وحيدة في مكان مقفر مع رجل قوي البنية، مع رجل حقيقي، ليس كرجال المدينة الناعمين.

كان يمكن للخوف أن يتملكها إلاّ أنها شعرت بالدفء من الطعام اللذيذ، والنار المستعرة. مدّت رجليها كما لو كانت تختبر طولهما، وقد اعتراها شعور بالسلام يفوق التصوّر، بالرغم من معرفتها بأن ما يجري خطأ.

كلّ ما تحاول فعله هو الاستفادة إلى أقصى حد من الوضع الحالي. إلا أنها بدأت تستنتج أن الوضع ليس كما تعتقد. فعمله السابق كضابط في البحرية منحه خبرة واسعة تفوق خبرته كسائق، وشعوراً بالأمان.

نظرت إليه ورأت أنه يحدّق إليها. بدت نظرته فضولية ومقيّمة في الوقت عينه. ربما يفترض بها أن تشيح بنظرها لكنها لا تريد ذلك. عيناه داكنتان لامعتان، لم تستطع تمييز لونهما بعد. وفجأة، شعرت بالنعاس يغلبها.

ساد الصمت في الغرفة. ولاحظ جاي أنها بدأت تسترخي، وقد أسبلت يديها إلى جانبيها. وقعت خصلة من شعرها على وجهها،

www.elromancia.com

فأزاحها بيده، فيما راح يداعب شعرها بلطف.

ـ جاي!!.

ـ ماذا؟.

انتفض قلبه عندما سمعها تناديه باسمه، ثم سألها:

ـ ألا تريدين أن أسوي لك شعرك؟.

شعرت كيري بسعادة غامرة وبالأمان وهو يلامس شعرها ويتأمل ملامح وجهها.

بعدئذ، لامست أصابعه وجهها، فارتعشت. وبالرغم من أن ما يفعله بريء للغاية، إلا أنه بدا عملاً ملؤه الإغراء بالنسبة إليها!.

ألحّ عليها:

ـ ألا تريدين؟

ـ لا بأس!.

ـ لا بأس فقط. لا بد أنني أفقد لمستي السحرية.

فقد لمسته؟ لا، لم يفقدها قطعاً. أغمضت عينيها بعجز، ورفعت رأسها إلى الخلف فيما داعبت أصابعه عنقها. غمرتها سعادة فائقة وتساءلت كيف يمكن لمثل هذا الشعور أن يتملّكها لمجرّد أنّ إصبعه يلامس عنقها.

سألت:

ـ هل يفترض بنا أن نفعل هذا؟

٥ ـ فاشلة في الحب

أوشك جاي أن يقول لها إنهما لا يفعلان شيئاً، لكنه، وعوضاً عن ذلك رماها بابتسامة مقتضبة.

ـ أنا لا أرتكب جريمة يا عزيزتي!.

ـ لم ... لم أقصد هذا ...

ـ آه! فهمت ما تعنين.

قست ابتسامته وسأل:

ـ أتعنين أن ما نقوم به غير لائق، لأنني مجرد السائق وأنتِ زبونتي؟.

اتسعت عيناها لاستخدامه كلمة «زبونة» التي تشتمل على معانٍ مبطّنة. إلا أنه أسكتها بإيماءة من رأسه وابتسم ممازحاً، ثم أردف:

ـ لكنني لا أعمل الآن يا كيري، ولا أنتِ أيضاً.

لم تستطع التفكير بطريقة سوية، كانت مخدّرة من قربه، وبريق عينيه وشعورها بالدم يغلي في عروقها.

ـ عنقك جميلة، إنها أشبه بعنق الأوزة، بيضاء ناصعة.

همست:

ـ شكراً لك.

www.elromancia.com

أرجعت رأسها إلى الخلف وقد ذابت بسحر كلماته التي اخترقت دفاعاتها وأصابتها في الصميم.

عانقها بتأنٍ، فهو يعرف أن الطريقة المثلى لتحريك أحاسيس المرأة تقضي بجعلها تنتظر.

ابتعد عنها للحظة، ثم عاد وأمسك بوجهها بين راحتي يديه، وتأملها للحظة لينخفض بعدئذ رأسه ويعانقها بشغف ولفترة طويلة من دون توقّف.

لقد توقّع الثلج وليس النار. توقّع أن يبذل جهداً أكبر ليثير مشاعرها... وتوقّع أن تقول له إنه لا يجوز أن يمضيا قدماً في ما يفعلان. إلاّ أنها لم تفعل شيئاً من هذا القبيل.

همس بصوت ملؤه الترقب:

ـ ماذا علينا أن نفعل الآن؟.

اكتفت بابتسامة مشجّعة، كانت أشد تعبيراً من أيّ كلام.

كيف يمكن لأي رجل أن يقاوم دعوة كهذه؟.

ـ آه! جاي.. جاي.. جاي.

اكتسحتها مشاعر غريبة فخيل إليها أنها ستفقد الوعي. لكنها سمعت صوتاً بعيداً يقول لها إنه لا يفترض بها أن تنجرف خلف مشاعر آنية، وإنّ عليها أن توقف ما يجري، فهما مجرد غريبان في منطقة نائية، بعيدان عن أيّ حضارة.

وبحذر فتحت عينيها، وهي تخشى أن يقرأ فيهما أموراً تفضحها. ماذا يخالها الآن؟ لم تظهر على وجهه إمارات الانتقاد بالرغم من أن ضوء المدفأة المنعكس على وجهه جعله يبدو خلاباً. وعيناه، يا

لجمال عينيه، حبذا لو تعرف لونهما. شعرت وكأنهامدعوة إلى وليمة فاخرة، وهي خجولة تجهل كيفية التصرّف، فأدركت عندئذ كم تفتقر إلى الخبرة خاصة بالمقارنة معه.

عانقها مجدداً، فطوّقت عنقه بذراعيها ليقترب منها أكثر.

يا إلهي كم هو رائع! إنه يجسّد صورة رجل أحلامها.

قالت له بخجل:

ـ أنت وسيم جداً.

رأى الحياة تدب فيها من جديد، وذاب من تأثير خجلها وجرأتها في الوقت عينه.

ـ جاي!.

ـ ما الأمر؟.

شعرت برأسها ثقيلاً فيما راح يعانقها من جديد موقظاً فيها أحاسيس لم تعرفها قطّ.

ـ أنت تجعلني أشعر...

خانتها الكلمات، فما من عبارة في الكون تصف حقيقة مشاعرها.

قاطعها:

ـ مرغوب بك، هذا هو تماماً ما أريدكِ أن تشعري به.

المشاعر مضحكة، تجتاحك في أوقات غريبة، فتجعلك تضعف وتتركك عاجزاً.

توقف جاي عن معانقتها، وابتعد عنها فرأى نظرة الارتباك في عينيها وأمل أن تبدأ بالكلام حول خطأ ما يفعلانه.

www.elromancia.com

نظر إليها بجدية ثم سأل بلطف:

ـ أتبدين دائماً بهذه الجدية عندما تكونين مع رجل؟

دفعها شيء في لهجته إلى التحدث من دون التفكير في العواقب فقالت:

ـ لا أدري، فهذه المرة الأولى.

تجمّد جاي في مكانه.

آه يا إلهي لا!

لو كانت تشاهد فيلماً لبدا هذا المشهد مضحكاً بالنسبة إليها. لكنها تعيش الواقع، وهذا أمر يحدث معها.

فهمت من نظرته أنها لحظة النهاية، فلا يبدو رجلاً يحب الفتيات البريئات.

ساد الصمت لفترة لم يعكّر صفوه سوى طقطقة الحطب، ونبضات قلب كيري المتسارعة.

ـ ما الأمر؟.

سأل بلطف: «كرري مجدداً ما قلت!».

صعب عليها أن تتحدث عن الأمر لمرة واحدة، فكم بالحريّ أن تعيد ما قالته.

وجدت أن الأسهل أن تكذب فردّت: «أشعر ببعض البرد».

ابتعد قليلاً وأحضر غطاءً آخر وضعه عليها، إلاّ أنه بقي على مسافة منها، ثم استلقى واضعاً يده خلف رقبته.

ـ أنت تمزحين؟

ـ أتظن أن روح الفكاهة عندي سيئة إلى هذا الحد؟

ـ لا، طبعاً لا!

أمسك بخصلة من شعرها وراح يمرّرها على خدّها، ثم وضعها وراء أذنها فشعرت بانقباض في معدتها وأدركت أنها تتمنى لو يلمسها، لو يضمها إلى صدره ويعانقها بشغف. صحيح أنها لم تقترب منه لتعرف ما إذا كانت ستسر بذلك، لكنها على يقين من أنها ستفعل. قرّبها منه، وعانقها تماماً كما تمنّت، فخيل إليها أنها في حلم.

ـ لِمَ؟.

ـ أنا على ثقة من أنك لا ترغب في استعراض ملف قصصي العاطفية الفاشلة.

ـ حسناً، أنا لا أرغب في معرفة التفاصيل كلها، هذا أمر أكيد.

لكن محاولته للمزاح باءت بالفشل، فأردف وهو يرفع وجهها لينظر إلى عينيها:

ـ تعالي إلى هنا، اقتربي مني!.

للحظة، ظلّت كلوح الثلج بين ذراعيه، فاقدة الحس به وبكل ما حولها، إلاّ أنها سرعان ما لانت وهو يداعب شعرها، وذابت من لمسته. آخر ما يرغب فيه هو تحويل الجلسة إلى بكاء وحسرة، فقال:

ـ لست مضطرة لإخباري بشيء، لا شيء أبداً، ما لم ترغبي في ذلك.

راح يربت بأصابعه على ظهرها بحركة بريئة تهدف إلى طمأنتها والتخفيف عنها، لكنها أرادت المزيد، وتاقت للحصول عليه.

وبشكل مفاجيء، ابتعدت عنه، فشعر جاي أن قلبه انسلخ عنه.

www.elromancia.com

ـ كل ما في الأمر هو أنني لم اختبر هذه المشاعر من قبل.

ـ أجد صعوبة في تصديق ذلك.

ومرّر إصبعه على خدها ثمّ تابع:

ـ فأنت فتاة رائعة الجمال، وأراهن على أنّ الرجال يتباهون أمامك ويستعرضون رجولتهم باستمرار.

أنتِ فتاة رائعة الجمال! ترددت عبارته في رأسها. وخطر لها أن عدداً كبيراً من النساء كنّ ليستسلمن لمثل هذا المديح، لكنها مختلفة. فقد قضت حياتها تستمع إلى المديح حول مظهرها الخارجي، فبات الثناء لا يحدث أي تأثير فيها.

تساءلت هل يمكن لشخص مثل جاي أن يدرك أن الجمال الخارجي غالباً ما يعترض طريق سعادتها؟ فالرجال ينظرون إليها كما لو أنهاإناء من البورسلين يجب الحفاظ عليه. لكن ما يفوتهم هو أن البورسلين حجر، وهي إنسان من لحم ودم.

سمعت صوت الريح يصفر في الخارج فتذكرت أنها معزولة معه في منزل غريب، بعيداً عن العاصفة التي تزمجر.

ـ أظن أن الرجال يخافونني إلا أنك لا تفعل.

وخفت صوتها تدريجياً وهي تدير رأسها لتواجهه. إنه حتماً غير خائف مني.

ساد صمت ثقيل ثم جاء ردّه ساخراً جافاً:

ـ أتعنين أنني لا أخافك لأنني سائق، وأنت عارضة أزياء جميلة؟ لا تستغربي الأمر يا حلوة! فالأدب مليء بقصص الأزواج الذين ينتمون إلى طبقات مختلفة، الغني مع الفقير، والقاسي مع الحنون...

ومرّر أصبعه على وجهها بتملّك وسيطرة، فارتجفت.

ـ إذاً، لِمَ رضيت بأن أتقرب منك؟ هل أنتِ من النساء اللواتي يحبين الرجل القاسي؟ أم أنّ قصتي في البحرية هي التي أثارت اهتمامك؟ فالنساء ينجذبن عادة إلى البذلة الرسمية.

يا لسخافتها! ظنت أنها بمنأى عن الخطر معه وأنه يمثل الأمان، وها هي تدرك أن وقع كلماته أشد قسوة من السهام. حاولت أن تبعد يده عن وجهها.

ـ كفى! كيف تجرؤ على قول كلام فظيع كهذا؟.

لكنه أمسك بأصابعها، ثمّ قرّب وجهها من وجهه، فأحسّت بأنفاسه الدافئة تلفح وجنتها وهمس:

ـ لم أقصد إهانتك. كل ما في الأمر هو أننا نواجه مشاكل قد ترغبين في حلّها كيلا تعترض طريقنا في المستقبل.

ألمها كلامه هذا أكثر من دون أن تفقه السبب، ثمّ عادت وأيقنت أنها أعجبت به حقاً، لذا سمحت له بأن يتقرّب منها. إنه يحاول أن يسلّط الضوء على الخطأ الذي ارتكبته عندما لم تضع حدوداً بينهما، ويتحدث عن مستقبل لا يشمله حتى. كيف عساه يشمله وهما يعيشان في عالمين متباعدين كل البعد، حيث اهتماماتهما مختلفة كل الإختلاف؟ لا، هذا مستحيل، فكل ما يجمعهما هو مجرّد انجذاب ليس إلاّ، وهو انجذاب غير مناسب أيضاً.

قال برقة:

ـ هيا، لا تحزني، لكل مشكلة حل.

ـ لم أشأ أن أحزن.

ـ هذا جيد.

www.elromancia.com

ربّت على خدّها.

ـ أعتقد أن من الأفضل أن أتركك.. فلا أريد أن تكون تجربتك الأولى مع مجرد سائق.. نامي الآن!

وابتعد تاركاً إياها مع خيبة أملها...

٦ ـ لست الرجل المناسب

استيقظت كيري وفركت عينيها بارتباك ثم فتحتهما بحذر.

أين هي بحق السماء؟.

تسلل ضوء باهت من النافذة، فرفعت ناظريها لترى مساحات من الثلج الأبيض. وعادت إليها ذكريات الليلة الفائتة.

جاي!

رمشت بعينيها من أشعة الشمس وتذكرت الليلة الفائتة وتركه إياها وحدها. ولكنها خلال الليل شعرت به يعود إذ غطّاها جيداً، فتمتمت معترضة:

ـ جاي.

ـ عودي إلى النوم. سأنام في الغرفة ذاتها، فهذا أفضل.

استقامت في جلستها. أين هو؟ ولِمَ تشعر بالخجل لمجرد رغبتها في مناداته؟.

ـ جاي.

وبلمح البصر وجدته أمامها، متكئاً على الباب ينظر إليها بعينين ضيقتين. راح يراقبها بفضول وقد ارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة.

لاحظت للمرة الأولى أن لون عينيه رمادي يميل إلى الأخضر، وهو لون الحكمة والمعرفة. لكن ماذا ترى هاتان العينان؟ توسلت

www.elromancia.com

بصمت: أرجوك جاي، قل شيئاً، أي شيء!

ـ أحمل لك أخباراً سارة.

توقف قلبها عن الخفقان للحظة.

ـ أحقاً؟.

ـ عاد التيار الكهربائي، انظري.

مد يده إلى زر الكهرباء فأضاء الغرفة نور أكثر قوة من أشعة الشمس في الخارج، ما جعل عينيها ترمشان بسرعة.

أدركت أنّ عليها أن تتحمس للخبر لكن لم يكن هذا هو الحوار الذي أملته، فالتيار الكهربائي هو آخر ما تفكر فيه في الوقت الحالي.

ـ هذا جيد، ولكن أيمكنك إطفاؤه من فضلك، فهو يزعجني.

أشاحت بوجهها نحو النافذة تنظر إلى الخارج. ترى ماذا توقعت منه أن يقول؟ إنه يرغب بضمّها بين ذراعيه؟ وانتابها حنين أليم وهي تنظر إليه، فقد أرادت بكلّ جوارحها أن يضمها إليه.

ولكنه رفضها بالأمس. لم تعرف ما عليها أن تفعله. شعرت وكأنها فتاة صغيرة في ملعب حيث يعرف الجميع قواعد اللعبة باستثنائها ولا أحد يطلعها على ما عليها فعله.

لاحظ نظرة في عينيها، وراح يفكّر في احتمالات عدة. إن تقدّم منها وعانقها كما يريد، فلن يتمكن من الإبتعاد عنها. لقد تركها البارحة لأنه أراد فرصة ليحلل مشاعره، ولكن الابتعاد عنها لن يكون حلاً له أبداً.

ـ هل ترغبين في الاستحمام؟.

ـ هل وجدت مناشفاً نظيفة؟.

ـ نعم.

وقفت وسوّت ملابسها، ثم مشت بطريقة متعثرة، هي عارضة الأزياء المعتادة على السير مستقيمة. النوم على الأرض لا يناسبها حتماً.

عندما مرّت بجواره، أمسك بها من خصرها وشدّها إليه، ثم عانقها.

ـ ليتنا نبقى هنا!

ـ ومن قال إنني أرغب في ذلك؟.

ـ عيناك! هذا مكتوب على ملامح وجهك كلها.

أحسّت أنه يتحدث إليها بتعجرف وحاولت الابتعاد عنه. أهي شفافة إلى هذا الحد؟ أو تراه يعرف جيداً تأثيره في النساء؟

وشدها إلى صدره ثم أردف:

ـ ولكن علينا أن نرحل، ألا تعتقدين أن أحدهم سيقلق عليك؟ ألم تقولي إنك كنت على موعد ليلة أمس؟ مع من كنت على موعد...؟.

حدقت إليه بنظرة فارغة، كما لو أنه يتحدث عن عالم آخر، وبعد برهة تذكرت. يا إلهي!.

ـ دايفيد!.

دايفيد. وفتح جاي فمه ثم أنزل يديه متسائلاً لِمَ لم يعرف أنها على موعد مع رجل ما. سألها ببرودة:

ـ ألا تظنين أن دايفيد قد يقلق عليك؟.

www.elromancia.com

تألّمت كيري أكثر مما توقعت لأنه لم يسألها عن دايفيد. أرادت أن تخبره أن دايفيد مجرد صديق، ولكن عدم الاهتمام الذي بان في وجهه جعلها تمتنع عن الكلام. كان باستطاعته أن يسأل، لكنه لم يفعل والسبب في ذلك غاية في البساطة.

إنه لا يبالي!

زمّ جاي فمه بانزعاج، وتساءل عما إذا كان دايفيد هو الصديق الحميم العتيد.

ـ لا بد أنه سيتساءل لما لم تحضري، ومن المفترض أنه عرف بسوء الأحوال الجوية، وإن جمع الحدثين معاً فسيستنتج أنك ضائعة وسيبلغ الشرطة. ألم يخطر هذا الأمر في بالك يا كيري؟.

لم يخطر هذا في بالها أبداً. وهي بين ذراعيه لم يعد للعالم الخارجي أيّ أهمية.

شعرت بالغباء والانزعاج، فهزت كتفيها:

ـ غاب الأمر عن بالي.

لم ترَ أي نظرة تفهّم في عينيه بل بقيت نظراته باردة، كالثلج الذي يغطي الأرض خارجاً.

ـ إذاً، أقترح أن تستحمي وتهيئي نفسك، وسأخرج لاستكشاف حال الطريق، لأرى إن كنت أستطيع إحضار السيارة.

ـ أتريدني أن أساعدك؟.

ـ لا، أعمل أفضل منفرداً. حضري لنا طعاماً نتناوله وسأعود في أسرع وقت ممكن.

لم يضف كلمة أخرى ولم يعانقها، بل فتح الباب وخرج فدخلت نسمة هواء باردة جعلت كيري ترتعش.

وجدت قطعة صابون في الحمام فاستحمت بها محاولة تصفية ذهنها. شعرت بالامتنان لوجود الماء الساخن إذ شعرت بالانتعاش.

عادت وارتدت الملابس نفسها وتوجهت إلى المطبخ، حيث وجدت فضلات طعام الأمس، فرمتها في سلة النفايات، ثم غلت بعض الماء وأعدّت لنفسها فنجان شاي ساخن وهي تتساءل كم سيطول غياب جاي.

غاب نحو ساعتين قامت خلالهما بجلي الصحون والأكواب وترتيب غرفة الجلوس وطيّ الأغطية، ثم تناولت كتاباً من المكتبة، وجلست على الكنبة، لكنها لم تقرأ كلمة واحدة منه.

بعد قليل، سمعت صوت محرك سيارة، وما هي إلا لحظات حتى دخل جاي من الباب. كانت بشرته شديدة الاحمرار من الحركة، والعرق يتصبب من جبينه ليسيل فوق عينيه اللامعتين.

وقفت كيري وقلبها يخفق بسرعة، ثم نظرت إليه محاولة تفسير ملامحه. عرفت أنّ ما تأمل حصوله جنون مطبق لكنها تمنّت لو يبقيان عالقين معاً إلى الأبد.

ـ هل ... تمكنت من تحرير السيارة؟.

أومأ ثم أجاب:

ـ نعم. لقد أذابت أشعة الشمس الثلج، فلم يصعب عليّ تحريك السيارة. تبدو الطرقات سالكة، لذا يفترض بنا الانطلاق، أقله إلى القرية الأقرب، حيث يمكنك أن تستقلّي القطار.

سبق له أن فكّر في هذه الترتيبات وهو يعمل على إخراج السيارة حيث علقت في الثلج.

سبق أن خاب أملها، ولكن حلقها جف عند سماعها هذه

www.elromancia.com

الكلمات:

ـ لا مانع لديّ من السفر معك.

ـ لا، لا أريد المخاطرة بتكرار ما حدث.

ماذا؟ جنّ جنونها! أيعني تعطّل السيارة أم خوفه من تأثيرها فيه؟ ولاحظت كيف نظر بسرعة إلى ساعته.

ـ أتعني أنك تريد المغادرة حالاً؟.

ـ بعد قليل، أنا أتضور جوعاً، سنأكل أولاً ثم ننطلق.

ـ نأكل ماذا؟ لقد رأيت بنفسك أن ما من طعام في هذا المنزل.

ساد الصمت للحظة.

ـ يمكننا أن نسخّن طعام الأمس.

لاحظ النظرة التي ارتسمت على وجهها، فصرخ:

ـ آه، لا!.

بلى!

ـ لقد رميته. أيعقل أن نتناول معكرونة على الفطور؟.

ـ يوشك الظهر أن يحلّ! إذاً، لن نأكل شيئاً أليس كذلك؟.

شعرت بالغضب يتملّكه، فسألته بسرعة:

ـ هل غضبت؟.

ـ ماذا تتوقعين؟ لقد عدت لتوي من مهمة شاقة. ولست في مزاج يسمح لي بتناول الطعام في موعد محدد كمن يعمل وراء المكتب طيلة اليوم. كما لست ممن يجوّعون أنفسهم عمداً كي يحافظوا على وزنهم! هل أنت عاجزة عن القيام بأي عمل مفيد؟.

ردّت تدافع عن نفسها:

ـ أجيد طلاء الجدران!.

ـ هذا عمل مفيد للغاية في هذه الظروف! فهلاّ غيرتِ لون السقف فيما نتضوّر جوعاً هنا.

جاء غضبه جامحاً، وأيقنت أن السبب لا علاقة له برميها الطعام. لقد تمكن بجملتين تفوّه بهما من تحطيم عالمها وآمالها. حسناً، هذا الكلام كفيل بالقضاء على الأحلام الرومنسية التي راودتها.

حدّقت إلى عينيه مباشرة:

ـ أنا آسفة، لا يمكنني سوى إخراج الطعام من سلة المهملات لتناوله.

التفت إليها. منذ متى يغضب لمجرد أنه لم يستطع تناول الطعام؟ إنه حتماً ليس بغاضب لأنها كانت على موعد مع رجل ما الليلة الفائتة؟.

نسيت أمر ذلك الرجل الليلة الماضية، فهذا عائد إليها، وهو لن يحكم عليها. وما من ضرورة للافتراق متخاصمين. قال برقة وهو يمد إليها يده:

ـ تعالي إلى هنا، اقتربي مني!.

لو تعرّضت امرأة قوية لمثل هذا الموقف لأبت أن تقترب منه، لكن كيري تشعر بضعف شديد. أهذا هو الثمن الذي ستدفعه لتقرّبها منه أمس؟.

عانقها... أراد أن يعانقها النهار بطوله ويشعر بها قربه، لكنّه حكّم عقله، فرفع رأسه وحدّق مباشرة إليها، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساحرة.

www.elromancia.com

ـ كلما أسرعنا بالمغادرة، كلما تقلصت إمكانية إبلاغ الشرطة عن اختفائك، فالشرطة ستتكبد خسارة كبيرة وتدفع الكثير من المال في عملية البحث عنك. إلا إذا كنتِ تفضلين أن ينقذك أحدهم بواسطة مروحية.

رمشت بعينيها. كيف يبقى هادئاً وعقلانياً إلى هذا الحد، ويسيطر على نفسه في حين تجتاحها هذه المشاعر الجيّاشة؟.

كل ما تسمعه هو نبضات قلبها، وكل ما تشعر به هو الدم الحار الذي يسيل بسرعة في عروقها. لم تشأ الذهاب، ومغادرة هذا المكان، لكن يبدو جلياً أنه لا يعيش الشعور نفسه. وهو محق فثمة أشخاص ينتظرون عودتهما وسيشعرون بالقلق عليهما، لذا، لا يمكنها أن تدير ظهرها وتتصرّف كما لو أن أحداً لا يقلق عليها.

لكن، وبالرغم من هذا كله، يبقى أنه رجل يتمتع بمهارات عديدة ويضيّع وقته في العمل كسائق. ألا يمكنه استغلال قدراته الجسدية والفكرية بشكل أفضل؟ ألا يمكنها أن توجّهه ليختار الطريق الصحيح؟ فكرّت في أنّه يتوجب عليها التطرق إلى الموضوع برقة وحذر لئلا تجرح كبرياءه وعزة نفسه.

ـ جاي؟.

أحسّ أنها ستطرح عليه سؤالاً، وهو ليس حتماً بسؤال عن حال الطرقات فأبقى نبرة صوته عادية.

ـ نعم كيري؟.

ولامس طرف أنفها بإصبعه.

ـ ألم تفكّر يوماً في أنك... تهدر طاقاتك في هذا العمل؟.

رفع حاجبيه:

ـ ماذا تعنين تحديداً؟.

بدا وجهه غاضباً إلى حد أنها ندمت على تطرّقها إلى هذا الموضوع، لكنها لا تستطيع أن تتراجع وتصمت الآن.

ـ أعني العمل كسائق!!.

ـ أثمة سوء في العمل كسائق؟.

حمل سؤاله معنى مبطّناً لم تستطع أن تفهمه جيداً.

ـ لا، ما من سوء أبداً.

همس ساخراً:

ـ الحمد لله!.

ـ كل ما في الأمر هو أنك قادر على تقديم المزيد...

رأت التواء فمه فسارعت تكمل حديثها كيلا يظن أنها تقصد بكلامها هذا جاذبيته الجسدية ووسامته. قالت:

ـ أعني اطّلاعك، وعملك في البحرية، وقدرتك على التصرّف في المحن. قلّة من الرجال قادرون على التصرف مثلك.

أبقى نظره مسمراً عليها:

ـ شكراً لكِ!.

تابعت:

ـ شخص يتمتع بقدراتك قادر على جني ثروة إن عقد العزم على ذلك.

وتساءل إن كانت تريده أن يعمل مرافقاً لنساء جميلات يشعرن بالوحدة؟ نظر إلى عينيها وفكّر في إطلاعها على ما يجول في فكره

www.elromancia.com

لمعرفة ردّ فعلها، لكنه لم يفعل.

ترى هل سيتصل بها يوماً ويدعوها على العشاء؟ لكن، عمّا سيتحدثان على وجه التحديد؟ عن أن تبرجها فقد رونقه، أو أنها كسبت بعض الوزن؟ كلام يفسد ما جرى بينهما ويشوّهه. لقد أخبرها أكثر بكثير ممّا كان ينوي إخبارها به، ولعلّ السبب في ذلك هو الطقس وانعزالهما عن العالم.

غالباً ما تسيء النساء تفسير الأمور عندما يفضي إليهن الرجل بسرّ ما، ولهذا كان دوماً يتجنّب البوح بأسراره لهن.

شحب وجهها للغاية، فرفعه وقال:

ـ اسمعي كيري، لقد أثبت لنفسك أنكِ صبورة في التعامل مع المصاعب، ويسعدني اهتمامك بي، ولكنه اهتمام خاطئ. فكل ما عليك فعله الآن هو إيجاد الرجل المناسب لك.

علقت كلماته في الهواء كما لو أنه طبعها في الفضاء: ولكنني لست الرجل المناسب!

كانت تعرف هذا.

شعرت ببعض النفور. لقد عملت جاهدة كيلا تجرح كبرياءه وها هو الآن لا يوفّر جهداً ليجعلها تشعر بالذنب. لذا، تصرّفت كما لو أنّ الكاميرا مسلّطة عليها، فابتسمت ببرودة تضاهي برودة الطقس خارجاً. وسألت:

ـ ألم تتحدّث عن إيصالي إلى أقرب محطة قطار؟.

أوما. إذاً لن تحاول التمسك به! وشعر بخيبة أمل.

نظر إليها يشبع عينيه من سحرها للمرة الأخيرة. بدت مختلفة تماماً عن ملكة الثلج التي قابلها في البدء، بدت دافئة ومثيرة وحيّة.

أهو من فعل بها هذا؟ أهو من أعاد إليها الحياة؟.

قال ببرودة:

ـ أظنني سألتقيك في حفلة الترويج؟.

كانت تحاول جاهدة تقبّل فكرة أنها المرة الأخيرة التي ستراه فيها، فتفاجأت:

ـ حفلة الترويج؟.

ـ نعم، الحفلة المخصصة للترويج للآلىء. إن كنتِ الوجه الذي سيروّج لبيع آلاف المجوهرات، فلا بدّ أن يتوقعوا حضورك الحفلة؟.

بلى، عليها بالطبع أن تحضر. إنها سهرة راقية في أحد أفخم فنادق لندن، وهي تعتبر هذه الحفلات عادة واجباً مقدساً من واجبات العمل.

ولكن الآن . . . انتفض قلب كيري حماسة وعجزت عن فعل أي شيء لوقف قلبها عن الخفقان، فهي تريد رؤية هذا الرجل مجدداً أكثر مما رغبت في أيّ شيء آخر في حياتها.

سألت ببرودة مماثلة لبرودته:

ـ أتعني أنك مدعو أيضاً إلى تلك الحفلة؟.

ـ بالكاد يا عزيزتي.

والتوى فمه بشبه ابتسامة لسماعه نبرة الدهشة في صوتها وأردف:

ـ سأكون حاضراً لأحرس الجواهر.

www.elromancia.com

٧ ـ ليته قربي!

كانت العودة إلى لندن أشبه بالعودة من كوكب آخر. لم يكن الثلج يتساقط بغزارة في العاصمة، بل بشكل خفيف جداً. شعرت كيري أنها امرأة مختلفة عن تلك التي غادرت العاصمة البارحة.

دخلت إلى المنزل فوجدت زر المجيب الآلي مضاءً، لكنها لم تستمع إلى الرسائل التي تلقتها على الفور لأن أموراً أخرى تشغل بالها. تنقلت من غرفة إلى أخرى كما لو أنها ترى الشقة للمرة الأولى وراحت تقارنها بذاك المنزل حيث عرفت للمرة الأولى معنى الشعور بالأمان إلى جانب رجل ما.

ارتعشت.

شعرت وكأن جاي سحر أحاسيسها بقوة حوّلت كل ما عداه إلى ظلال وهمية. وتذكرت سحر عناقه، وبريق عينيه. وتملّكتها رغبة في الاسترخاء وأخذ حمام ساخن.

وضعت كمية من الصابون العطر في المغطس واستلقت فيه مغمضة عينيها.

كانت الرسائل من دايفيد، ومن وكالة عرض الأزياء، إذ اتصل بهم السائق بشأن المجوهرات، فطلبوا منها أن تعلمهم بوصولها سالمة. كما وردتها رسالة أخرى من دايفيد يتساءل فيها عن مكانها.

شعرت بألم حاد في رأسها وهي تضغط على الزر لتمحو هذه الرسائل.

تصرّفت بجبن فتركت رسالة على المجيب الآلي في منزل دايفيد تعلمه فيه أنها بخير وستتصل به قريباً. بعدئذ، اتصلت بأختها فأجابت تلك الأخيرة عند الرنّة الثانية.

سمعت كيري صوت بكاء.

ـ إيرين؟.

ـ كيري! الحمد لله! هل أنت بخير؟.

ـ لقد عدت بخير وعافية.

ـ ماذا جرى؟ اتصل دايفيد، قال إنك لم تحضري للقائه كما اتفقتما وإنه لم يستطع العثور عليك أو الاتصال بك!.

ـ لم أكن أعلم أنه يعرف رقم هاتفك.

ـ ولا أنا أيضاً. كيري، ما الذي يجري بحق السماء؟.

لقد انقلب عالمها بأكمله رأساً على عقب، هذا كل ما في الأمر.

ـ هل أستطيع المجيء لرؤيتك؟.

ـ طبعاً، متى تحضرين؟.

ـ أنا في طريقي إليك.

تقطن شقيقتها في المدينة نفسها ولكن على بعد أميال من المنطقة الفخمة حيث تعيش كيري. كان منزل إيرين في حيّ لا أشجار فيه ولا حدائق، بل الكثير من الأبنية، وهو لا يعدّ المكان الأمثل لتربية طفل، لكنه على الأقل منزل يأويها وطفلها.

قالت أختها إنها ستنتقل في يوم من الأيام إلى مكان أقل كلفة في

الريف، لكن الأوان لم يحن بعد، فما زالت إيرين تعيش في عالم من الذكريات التي يصعب عليها الانسلاخ عنها.

لقد قُتل زوجها بعدما صدمه أحدهم بسيارته ولاذ بالفرار. لم يرَ ابنه الذي لم يكن قد ولد بعد، ولم يحي ليحصد ثمار العمل الذي كدّ فيه. اختفى فجأة كنور شمعة ينطفىء. ظنت كيري أن شقيقتها ستنهار من الصدمة، لكنها لم تفعل والحمد لله وأنجبت طفلها.

فتحت إيرين الباب وقد ضاقت عيناها عندما نظرت إلى أختها التوأم.

لقد أسبغ عليهما الخالق الصفات الخارجية عينها: عينان سوداوان، وشعر أسود وجسم ممشوق. إلاّ أن الأختين لم تعودا تشبهان بعضهما البعض كما في السابق. ولعل خبرتهما في الحياة هي التي غيرتهما.

كان شعر إيرين مشدوداً إلى الخلف، ووجهها خالٍ من أي أثر للزينة. كانت هزيلة، ونادراً ما ترتدي غير ملابس العمل وهي عبارة عن جينز وقميص وسترة.

ضاقت عيناها وهي تنظر إلى شقيقتها، ثم سألت:

ـ ماذا حدث؟.

تمكنت إيرين من أن تقرأ في عيني شقيقتها التغيّر الذي حصل.

ـ أين ويل؟.

ـ إنه نائم. كان يعاني من نوبة غضب، لذا فلنتحدث بهدوء كيلا يستيقظ.

جلست كيري على كرسي وتنهدت ثم راحت تخبر أختها بما حدث. حدّثتها عن العاصفة الثلجية، وتعطّل السيارة، وعن الرجل

ذي العينين الخضراوين الذين أعجب بها وهي تصوّر الإعلان، ثم عادت فبادلته الإعجاب وسحرت به بدورها.

ـ أهو جذاب؟ أعني مثير؟.

ـ نعم، جداً.

ـ هل تورطتِ معه؟ أعني، أنا لا أقصد إصدار الأحكام ولكن هذا ليس من عاداتك.

ـ بالكاد أعرفه.

ـ إذاً تعرّفي إليه أكثر! هل سترينه مجدداً؟.

ـ نوعاً ما!.

ـ سيحضر حفلة الترويج للآلىء السبت في فندق غرانشستر.

عبست إيرين: «بصفته ضيفكِ؟».

هزت كيري رأسها:

ـ لا، كحارس للمجوهرات.

ـ إذاً، لم تضربا موعداً؟.

ـ لم يفكر حتى في المسألة.

تنهدت كيري وتابعت: «لم يطلب مني الخروج معه».

ـ كان باستطاعتك أن تطلبي منه الخروج معك في موعد، فنحن في القرن الواحدَ والعشرين.

ـ لا يفترض بالمرأة أن تفعل هذا.

ـ آه، كيري!.

ـ على أي حال، لن ينجح الأمر. فهو سائق.

نظرت إليها إيرين بازدراء:

www.elromancia.com

- أنتِ لا تصدقين كل ذاك الهراء عن الاختلاف الطبقي؟.

- لا، لكنني أظنه يصدّق.

- لعل هذا هو السبب الذي منعه من أن يطلب منك الخروج معه، ولا يسعك أن تلوميه على هذا. فكّري قليلاً في الأمر، فأنت إحدى أشهر عارضات الأزياء وهو يعمل كسائق! من الطبيعي ألا يطلب منك الخروج برفقته، لأنه لن يخاطر بأن ترفضي طلبه.

- بالرغم من التجربة التي مررنا بها معاً؟.

- طبعاً، فالخروج معاً ينجم عنه مشاكل عدة. لعله يخشى أن يستعمل السكين الخطأ إذا ما دعاك لتناول العشاء.

أرادت كيري أن تخبر أختها أنها أساءت فهم الأمور وأن جاي يتمتع بصفات رائعة رغم وظيفته المتواضعة. في الواقع، لم تلتق قطّ في حياتها رجلاً منسجماً مع ذاته إلى هذا الحد.

قالت ببطء: «لا، إنه مختلف عمّا تقولين».

- إذاً، في هذه الحالة، انتظري لتري ماذا سيحدث نهار السبت، ولكن لديّ سؤال أخير، هل قضيت وقتاً مسلياً معه؟.

- قضيت أروع أمسية في حياتي.

- إذاً، لعلّه ساعدك لتتمكني من التعرف إلى غيره.

أرادت أن تخبر أختها أنها لا تريد أحداً سواه وأنه الرجل الوحيد الذي أثار فيها أحاسيس جعلتها تدرك أنها امرأة، لكنها لم تفعل.

شربت الشاي مع أختها، وساعدتها في تحضير الحلوى. وحين استيقظ ويل صعدت لتراه. كانت غرفته ملوّنة ومضيئة فقد زينتها له بنفسها بالأخضر والأزرق ورسمت له صورة فرس بحر على أحد الجدران.

فتح عينيه الناعستين ورفع يديه إلى الأعلى، فحملت كيري ابن أختها الصغير وضمّته إلى صدرها وتنشّقت رائحته العطرة. كانت تحبه كثيراً بالرغم من أنها كلما نظرت إلى عيني إيرين المتعبتين، تتمنى لو أنه لا يتعبها إلى هذا الحد. أما اليوم، فشعرت وكأن أحاسيسها كلها تبدّلت، وشعرت بجماله وبراءته بشكل لم تفطن إليه من قبل.

كان الظلام قد حلّ عندما وصلت إلى منزلها، فتوجهت ببطء إلى غرفة نومها. كانت الشقة هادئة ومضاءة بنور خفيف، فلفّت ذراعيها حول نفسها، وأغمضت عينيها، وتمنت لو أن جاي بقربها. وتساءلت كيف ستتمكّن من الانتظار حتى السبت لتراه.

www.elromancia.com

٨ - رجل مهم

لم يدرك جاي أنه ينتظر، فالانتظار ليس من طبيعته، إنه رجل عمل وليس انتظار. لكن ما إن رآها تدخل من باب الغرفة المكتظة بالناس حتى تنفس الصعداء.

عادت ملكة الجليد، من جديد.

هل طلبت منها وكالة الأزياء أن ترتدي هذا الفستان، أو تراها ترتاد عادة هذا النوع من الحفلات وهي تضع اللآلىء وترتدي فستاناً ضيقاً إلى حد أنه يبدو وكأنه بشرتها الثانية؟

كانت الغرفة مكتظة بالنساء الجميلات الأنيقات، لكنه لم يستطع التوقف عن التحديق إلى كيري، وقد تلهّف إليها أكثر لأنها لم تنظر ناحيته. لم تنظر إليه ولو مرة واحدة، ما زاد لهفته إليها. أتراها نسيت أمر ذلك الرجل الذي أنقذها؟.

وقف جاي يراقب من زاوية استراتيجية تنقلاتها وكيف يقترب الناس منها ليحيونها. رأى أحدهم يمسك بيدها ويقودها فيما قدم لها شخص آخر كوباً من العرطبات. وقف صامتاً جامداً كتمثال خلف علبة زجاجية كبيرة مليئة بكمية هائلة من المجوهرات النفيسة. كان قلبه ينبض بقوة. وبعد طول انتظار، أدارت رأسها ونظرت مباشرة إلى عينيه.

شعرت كيري أن قلبها توقف عن الخفقان للحظة.

كان يرتدي جينز أسود ضيقاً وسترة بقبة عالية. بدا فكّه حاداً وعيناه ساحرتين.

ومقارنة مع الرجال الآخرين في السهرة، المتأنقين ببدلاتهم السوداء الرسمية، بدا مختلفاً كلياً. ولو احتاجت إلى دليل واضح على الاختلاف بين عالميهما، فها هو الدليل أمام ناظريها. لكنها لم تكترث أبداً لهذا الأمر، فهو رجل بكل ما للكلمة من معنى. إنه الرجل الوحيد من بين الموجودين في هذه الغرفة القادر على خلع باب منزل وإنقاذ امرأة.

بذلت جهداً كبيراً لئلا تظهر أي ردّ فعل، أقلّه ليس علناً.

كان ينظر إليها مباشرة. الفستان الذي ترتديه طبيعي لمثل هذه المناسبة، وينساب على جسمها كما لو أنه رُشّ عليه رشاً. وبالرغم من ذلك، فهي لا تبدو أقلّ حشمة من بقية النساء الموجودات في الحفلة.

لكن لِمَ تشعر بأنها عارية تحت ناظريّ جاي؟.

احمرّ خداها، فاستدارت تتحدّث إلى أحدهم قبل أن يلاحظ جاي احمرار خديها.

تنقلت في مختلف أرجاء القاعة، تتعرّف إلى أشخاص يقدّمهم لها مدير الحملة. كانت صورها منتشرة في المكان وقد بدت خلاّبة تماماً كما توقع مدير التصوير. ولكن كلّ ما خطر في بالها هو أنه بعد التقاط هذه الصور ببضع ساعات، وجدت نفسها مع جاي في ذاك المنزل المعزول.

لم يتحرّك من مكانه. وبعد حوالى نصف ساعة وبعد أن تجوّلت

www.elromancia.com

في كلّ مكان إلاّ ناحيته، لم تعد قادرة على التحمل، فأخذت كوباً ثانياً من المرطبات وتوجهت نحوه.

ابتسمت ابتسامة أملت ألا تظهرها غير واثقة من نفسها.

ـ مرحباً مجدداً، هل ترغب بكوب من المرطبات؟.

ـ لا شكراً، سبق أن شربت.

ـ أحقاً؟.

شعرت بالغباء وهي تقف إلى جواره حاملة بيدها كوبين. ولعلّه لاحظ اضطرابها، فتناول الكوبين من يدها ووضعهما على صينية نادل مرّ قربهما. وتساءلت عما إذا كان يملك موهبة خفية تجعله يعرف ما تريده المرأة وفي الوقت المناسب أيضاً.

همس: «هل هذا أفضل؟».

ـ بكثير.

كذبت. فالحل الأفضل هو إخلاء الغرفة تماماً والبقاء وحيدين فيها. شعرت أن الوضع غريب، فابتسمت وسألت:

ـ هل تستمتع بوقتك؟.

نوعاً ما، فالوضع الآن أفضل بكثير من السابق، ولعلّ السبب هو أنها تبدو رائعة للغاية كما توقّع.

ـ أنا أعمل، ولست هنا بغرض قضاء وقت ممتع.

ـ هل تريدني أن أتركك إذاً؟.

ابتسم ابتسامة مقتضبة: «لا. هل حضرتِ بمفردكِ؟».

ـ في الواقع ... نعم.

رفع أحد حاجبيه وسأل: «دايفيد ليس معك؟».

نظرت إليه مباشرة وقد تسمّرت من تأثير تينك العينين الخضراوين:

ـ دايفيد مجرد صديق.

سألها برقة:

ـ هل أصبح مجرد صديق؟.

مسكين دايفيد. إلاّ أن جوابها غيّر الأمور، فابتسم جاي ثم سألها:

ـ ربما يمكننا الخروج لتناول القهوة، أو ما شابه.. عند انتهاء هذه الحفلة؟.

كانت لتكذب لو قالت إنها لم تتغرّ بهذه الدعوة، فهي تعلم أنها كانت تنتظرها بتلهّف وشوق. لكن، هل ستكون هذه الدعوة هي الوحيدة أم ستليها دعوات أخرى؟.

ـ آسفة سأكون متعبة عندها.

لاحظ شحوب وجهها، وأيقن أنها على وشك المغادرة. أراد أن يضمها إليه ويعانقها وسط هذا الحشد من الناس، لكنه تمالك نفسه وسألها:

ـ ماذا عن الغداء؟.

رمشت عينيها لهول المفاجأة.

ـ الغداء؟.

ـ أظننا اتفقنا على أنكِ قادرة على تناول الطعام، إذا ما حثّك أحدهم على ذلك؟.

شعرت بقلبها يخفق بقوة. أتراه قال هذا ليذكّرها بالطريقة التي أكلا فيها المعكرونة؟

www.elromancia.com

لكن لا، فالخروج في موعد للغداء أمر متحضّر، وهو أكثر أماناً من العشاء.

- يمكنني الخروج معك على الغداء.

- الإثنين؟.

- لما لا!.

- أعرف مكاناً في دوكلاند يطلّ على المياه. إنه جميل وقريب من مكان عملي.

سيراها خلال استراحة الغداء. تنهدت كيري تنهيدة ارتياح لأن الغداء لن يطول أكثر من ساعة بما أنه ملزم بالعودة إلى العمل.

وردّت بتفهّم:

- يمكننا تناول سندويش.

ابتسم لها وقال:

- ثمة مكان يدعى كارتر بجانب النهر، هل تعرفينه؟.

- لا، لكن يمكنني إيجاده.

- حسناً، سأراكِ هناك عند الواحدة.

ثمّ وضع يده في جيب سرواله وتناول بطاقته.

- هذا رقمي، اتصلي بي إن طرأ عليكِ أمر ما.

شعرت وهي تأخذ البطاقة من يده بسحر يجذبها إليه كالمغناطيس. رفعت رأسها إلى الأعلى فلاحظت اتساع عينيه تجاوباً مع تلامس يديهما. أله هذا التأثير في النساء كلهن؟ أيستطيع أن يذيب أي امرأة بلمسة واحدة؟.

- أراك عند الواحدة إذاً؟.

ابتعدت عنه وقلبها يقفز من مكانه فرحاً، وتساءلت عما إذا كانت على وشك إيقاع نفسها في المشاكل.

شعرت وكأنها تخرج للمرة الأولى في موعد مع رجل. لم تنم جيداً ليلة الأحد، واستيقظت ما إن طلع الفجر خشية ألا تكون جاهزة عند الواحدة. إلاّ أنها وصلت إلى المطعم الذي اتفقا على اللقاء فيه قبل ساعة من موعدهما.

كان الطقس جميلاً، مناسباً تماماً لنزهة قبل الغداء، لكنها لم تجد صالة عرض ترتادها أو محلات تتبضع منها. وخطر لها أنه قد يستطيع الخروج باكراً. لِمَ لا؟.

أخرجت هاتفها الخلوي من جيبها وطلبت رقمه. وعند الرنة الثانية رفع السماعة.

- جاي لينور.

- جاي، أنا كيري. لم أصادف زحمة سير في طريقي وقد وصلت، فهل يمكنك ملاقاتي قبل الموعد بقليل؟.

ساد الصمت على الطرف الآخر.

- لمَ لا تصعدين إلى المكتب، لدي بعض الأعمال المكتبية التي عليّ إنهاءها.

- حسناً، قل لي أين أجدك؟.

وتساءلت عمّا إذا كان يدّعي الانشغال بالأعمال المكتبية ليظهر مهماً أمامها.

أقفل الهاتف وعبس.

- أندي، أنتظر أحدهم.

وجدت كيري المبنى بسهولة وصعدت السلالم بدلاً من أن تستقل

www.elromancia.com

المصعد لتجد نفسها أمام مكتب كبير، ذا سقف عال. صحيح أن الجدران باهتة إلاّ أن النور المنعكس من النهر والمنظر الخلاّب من الشرفة، يعوّضان.

رأت كيري رجلاً ضخماً في المدخل الذي دخلت منه. ابتسم لها، وقال:

ـ مرحبا، جاي ينتظرك.

وضغط على زر الهاتف الداخلي الموضوع على مكتبه.

ـ لقد وصلت سيدي.

ـ دعها تدخل.

كم مرة طلب من أندي ألا يناديه سيدي.

قال وهو يشير إلى باب المكتب الداخلي: «تفضلي بالدخول».

عبست كيري، وتساءلت: سيدي؟.

ـ شكراً لك.

دخلت إلى المكتب الداخلي، فلم تجد ما توقعته. ولكن ما الذي توقعته على وجه التحديد؟.

رأت جاي جالساً خلف مكتب خشبي كبير، وقد رفع كميّ سترته القاتمة اللون. شاهدت خلفه خريطة للعالم، تحمل العديد من الدبابيس الملونة. شعرت وكأنها في مكتب شخص مهم، في حضرة شخص مهم.

حدّق إليها وقال:

ـ مرحباً كيري.

كان شعرها مربوطاً إلى الخلف كتلميذة مدرسة، وترتدي معطفاً

جلدياً يصل إلى ركبتيها، وتنتعل حذاءً طويل الساقين.

جالت بنظرها في أنحاء المكتب.

ـ هل تمانع في إخباري ماذا يجري؟ ولما ناداك ذلك الرجل سيدي؟.

ـ لأنني ربّ عمله، فأنا أملك هذه الشركة. أنا أدير شركة تؤمّن سائقي سيارات، وحراس، وتحريين أيضاً.

لم يخبرها أنه يملك المبنى، إذ لم يشأ تزويدها بهذا القدر من المعلومات دفعة واحدة.

شعرت وكأن غشاوة أزيلت عن عينيها وتجلت الرؤية واضحة أمامها. طبعاً.. طبعاً.. بدأت الأمور تتوضح الآن.

تلك الثقة بالنفس، ذلك الغرور عندما كان بقربها، خلافاً لما اعتادته من تصرفات الرجال. والمرء ليس مضطراً لارتداء الملابس الفخمة وصرف المال كيفما اتفق ليكون غنياً، إذ يظهر الغنى في تصرفاته أحياناً، وهذا هو حال جاي.

ـ هل... تستأجر هذه المكاتب؟.

ـ في الواقع أنا أملكها، وثمة مكتبان آخران في الطابق السفلي.

اتسعت عيناها دهشة، فالمكاتب في هذه الناحية من لندن ليست بخسة الثمن.

ـ إذا، أنت لست بسائق.

رأى نظرة الإتهام في عينيها، كما شعر بأنها ترتجف، فيما علت وجهها خيبة الأمل. إنها تشعر بأنه خانها.

ـ هذا ليس صحيحاً كل الصحة.

www.elromancia.com

بدأ الضياع يتلاشى وحلّ الغضب محلّه، ما ساعدها على عدم الظهور بمظهر الغبية.

ـ أرجوك! لا تلعب على الكلام، فأنا لا أشكّك في قدرتك على القيادة... هل استمتعت بخداعي؟.

ـ لِمَ أتعمد القيام بشيء من هذا القبيل؟ لما عساي أرغب في خداعك؟ لا تحمّلي الموضوع أكثر مما يستحق كيري. كل ما في الأمر هو أن أحد السائقين العاملين لديّ مرض في اللحظة الأخيرة واضطررت للحلول محلّه.

ـ لِمَ لم تخبرني بهذا حينذاك؟.

ـ ولِمَ علي أن أفعل بحق السماء؟ أتتخيلين الموقف، أتريدينني أن أقف أمامك وأقول: مرحباً، أدعى جاي، أنا لست بسائق، بل مالك الشركة التي تؤمن السائقين.

ـ أنت لا تفهم ماذا أعني!.

ـ أحقاً؟.

سمّر نظره عليها واتجه نحوها قبل أن يضيف:

ـ لا أفهم ما تقصدين؟ هل كنت لتعامليني بطريقة مختلفة لو عرفت هويتي؟ إن كان الأمر كذلك، فربّما كان يفترض بي إطلاعك على الحقيقة.

ـ هذا كلام حقير!.

هز رأسه وراح يتذكّر تلك الليلة. وبعد هنيهة، عارضها بلطف:

ـ لا، إنها الحقيقة!.

ورجعت بذاكرتها إلى الوراء. صحيح أنه لم يكذب عليها، لكن

لا شك أنه استمتع كثيراً وهي تخبره أنه يهدر طاقاته وقدراته في العمل كسائق. سألته بمرارة:

ـ هل استمتعت بالتنكر بهوية شخص آخر؟.

ـ طبعاً لا.

ومدّ يده كعربون سلام، ثم تابع:

ـ كنت سأخبرك عاجلاً أم آجلاً، لكنني لم أشأ أن أتفاخر فتظنين انني أحاول التأثير فيك بادعائي شيئاً لم أكن عليه، حتى ولو كان الحقيقة.

حدّقت إليه للحظات:

ـ حسناً! إن كنت ثرياً كما تدّعي، فلما لا تفعل شيئاً لتحسين هذه المكاتب؟ فأنا لم أر في حياتي مكاتباً أكثر قبحاً منها.

راح يضحك:

ـ هل مازال موعدنا على الغداء قائماً؟.

ـ لقد فقدت شهيتي!.

ـ لن نجري أي تغيير في المكاتب إذاً!.

لم تبتسم.

ـ كلامك مضحك جداً.

كان يتوق لأخذها بين ذراعيه، لكن شيئاً ما في عينيها حذّره من الاقتراب. وكان هذا الانتظار يحمّسه بقدر ما يزعجه.

سألها فجأة:

ـ هل أنتِ مرتبطة بعمل ما؟.

ضاقت عيناها:

www.elromancia.com

- لِمَ؟.

- هل هذا يعني نعم أم لا؟.

- لدي...

لم تشأ إخباره عن عقد لعرض الملابس الداخلية، إذ لا تستطيع تخيّل رد فعله. تابعت:

- لدي عمل بعد بضعة أسابيع.

- وماذا تفعلين عادة عندما لا يكون لديك عمل؟.

كانت تملأ وقتها بأمور مفيدة، فتزور صالات العرض والأصدقاء، وتتسوّق وتشاهد الأفلام.

- لا شيء محدد.

يا إلهي! إنها تردّ له شعورها بالخيبة مضاعفاً، سألها:

- هل ترغبين في تقديم خدمة لي؟.

- مثل ماذا؟.

- لِمَ لا تهتمين بديكور مكاتبي؟.

رأى نظرة الاستغراب في عينيها وسرّ لذلك، فتابع:

- أتجدين الفكرة غريبة؟ سبق لك أن أخبرتني أنكِ تهوين العمل في الديكور، وأن هذا ما أردت فعله في حياتك. وها أنت الآن تجمعين بين ما أردت القيام به وعملك الحالي. كما أنك هدمت هذا المكان حين نعته بأنه أقبح ما رأيته في حياتك.

سرّها اقتراحه أكثر بكثير ممّا يفترض به أن يفعل. ووجدت أن قبولها فرصة ملائمة للتعرف عن كثب إلى جاي لينور، ولتخبره أنها ليست مجرّد فتاة جميلة تجيد الوقوف أمام عدسات الكاميرا. أرادت

أن تبرهن له ما تستطيع فعله، وأن تثبت لنفسها قدراتها.

حدّقت إليه:

- لِمَ يا جاي؟.

لأنني أريد التقرب منكِ أكثر. لأنني لم أفكر في شخص سواك منذ افتراقنا تلك الليلة. ولعلّ الأمر يتخطى هذا، فهي ليست فقط فتاة جميلة تقف في حقل تغطيه سجادة من الثلج وهي ترتدي ثوباً رقيقاً، ألم تقل له هذا بنفسها؟ وتنهّد.

- أخبرتني أنك أحياناً تسأمين الوقوف أمام الكاميرا، وأنك كنت تطمحين للعمل كمصممة ديكور قبل الانتقال إلى عالم الأزياء، فلِمَ لا تجربين العمل في هذا المضمار؟ يمكنني أن أكون الزبون الرسمي الأول لديك!.

حدّقت كيري إليه، إلى تينك العينين الخضراوين اللتين تراقبانها عن كثب. إنه يعرض عليها فرصة القيام بعمل مختلف، واستثمار قدراتها. لكن ليس هذا ما كان يجعل حلقها يجف ولسانها يعجز عن الكلام.

عرفت في أعماقها أنه سيحاول التقرّب منها مجدداً لكنها لن تسهّل عليه المهمة هذه المرة. إن كان جاي لينور يريدها، فعليه أن يبذل جهداً أكبر للحصول عليها.

سأل بلطف:

- إذاً، ما ردّك؟.

- هل ستمنحني حرية التصرف؟.

- تصرّفي بقدر ما تريدين من الحرية، يا عزيزتي.

وشعر مرة أخرى بجسمه يحترق شوقاً إليها.

www.elromancia.com

٩ ـ رجل لا يحب الانتظار

مرّ جاي بدرّاجته النارية بين السيارات في زحمة الصباح، والمطر ينهمر عليه، فيما الغيوم الداكنة تتسابق ومزاجه يجمع بين التوتر والترقّب.

إنها في مكتبه، تنفّذ فكرته المجنونة. عرف هذا لأنه تلقى اتصالاً هاتفياً من أندي يسأله إن كان على علم بوصول كمية كبيرة من الطلاء، كمية كافية لطلاء قصر باكينغهام.

بقي السؤال الكبير: لِمَ لم يخبر جاي ساعده الأيمن أندي عن مشروعه؟.

لقد سمح لامرأة بالدخول إلى منطقته. وليس أي امرأة، بل امرأة تثير مشاعره وتسبب له الاضطراب. ها هو يسمح للمشاعر بأن تعمي بصيرته للمرة الأولى في حياته.

ما من أحد يلومه على هذا سوى نفسه.

لقد أنجز بعض الأعمال في المنزل كيلا يكون موجوداً عند وصولها. وبعد أن ركن دراجته النارية، صعد، فسمع أندي يتحدّث مع أحدهم.

أندي.. يتبادل الأحاديث؟!

خدم جاي وأندي في البحرية معاً ثم تركا البحرية سوية. لقد

أمضى جاي جزءاً كبيراً من حياته برفقة الضابط السابق، لكنه لم يسمعه يوماً يتحدّث بهذه الطريقة.

على أيّ حال، الكلام يسهل جداً مع كيري.

دخل إلى المكتب ليرى كيري منحنية فوق الطاولة تشير إلى شيء على الخريطة.

قال جاي: «صباح الخير».

لم يكمل أندي جملته، وتوقفت كيري عمّا كانت تفعله واستدارا ثم ابتعد أندي بسرعة.

وقف جاي مكانه يراقب ما يحدث حاملاً بإحدى يديه خوذته فيما وضع الأخرى على خصره.

كان يرتدي ثياباً جلدية سوداء. سروال من الجلد التصق بساقيه الطويلتين وسترة جلدية قصيرة. تحت شعره الأسود وبشرته الداكنة، لم يظهر لون مريح للنظر سوى لون عينيه الخضراوين المخفي تحت رموشه الكثيفة.

قالت بمرح:

ـ صباح الخير جاي، بالرغم من أن الطقس ليس جميلاً اليوم.

زمجر:

ـ لن تكوني مرحة هكذا كل صباح، أليس كذلك؟.

ردّت ببراءة، فلم يستطع أن يخفي ابتسامة:

ـ بلى، لقد جرّبت بعض الألوان على مساحات صغيرة من جدران مكتبك، فهل ترغب في رؤيتها؟.

ويا للمفاجأة! بدأ مزاجه يتحسّن تدريجياً، فهي حتماً تفوق أندي

www.elromancia.com

خبرة في مجال الديكور.

ـ أظن ذلك.

واتجه إلى مكتبه بعد أن قال:

ـ أحضر لي فنجاناً من القهوة من فضلك أندي.

ـ طبعاً.

ترددت كيري لحظة، ثم استدارت نحو أندي وابتسمت:

ـ شكراً لك على المساعدة.

ضاقت عيناه:

ـ لا شكر على واجب سيدتي.

بدا أندي أميركياً بامتياز، في حين يملك جاي بعض السمات البريطانية. أخبرها أندي أنه خدم مع جاي في البحرية. كان شعره أشقر لامعاً، وعيناه زرقاوين، وهو لطيف للغاية بالنسبة إلى رجل بضخامته.

ناداها جاي وقد نفد صبره:

ـ كيري هل ستأتين؟.

تمتمت وهي تدخل مكتبه:

ـ يا لك من متطلب!.

معظم الغرف تملك طابعاً معيناً أو لمسة خاصة باستثناء مكتب جاي. فما من صور، وما من تماثيل ظريفة للأوراق، حتى أنها لم تجد مزهرية قديمة كما هو الحال في معظم مكاتب الرجال. لا شيء.. مجرد غرفة عملية لرجل عملي.

وقف جاي وسط الغرفة، ينظر من دون تركيز إلى الحائط

المجاور الذي طُلي جزء منه بلون أحمر فاقع.

استدار، فرأى عينيها واسعتين تترقبان كطفلة صغيرة قضت الليل بطوله تحضّر هدية لمعلمتها.

سألها بنبرة مخنوقة:

ـ هل تمازحينني؟.

ـ ألا يعجبك اللون الأحمر؟.

ـ لا أحب الجلوس في غرفة تبدو وكأن أحدهم رمى عصير الطماطم على جدرانها.

ـ لم أنهِ العمل بعد.

وبصمت، عدّ حتى الرقم عشرة علّه يتمالك أعصابه.

ـ قد لا أكون «فان غوغ» يا كيري، وأعرف أن العمل لم ينته، لكني لا أعترض على طريقة العمل بل على اللون اللعين الذي تستعملينه.

ـ وما العيب في اللون الأحمر؟ فالسماء في الخارج زرقاء، والجدران الأخرى بيضاء، وبما أنك تحمل الجنسيتين، ظننت أن الأحمر سيجسّد العلمين البريطاني والأميركي.

نظر إليها.

ـ أتحاولين ممازحتي؟.

ـ لا، صدقاً يا جاي، أظن أنه سيكون رائعاً، كما أنك قلت لي إني أملك حرية التصرّف المطلقة.

ـ هذا لأنني ظننتك ستعمدين إلى تفتيح الألوان قليلاً.

ـ وأطليه بأي لون؟ إني عاجزة عن معرفة لونه الأساسي بسبب

www.elromancia.com

طبقات الغبار والقذارة التي سأضطر إلى تنظيفها قبل البدء بالعمل. يفترض بأماكن العمل أن تكون ملهمة، ولن ينزل عليك أي إلهام إن جلست في مكتب جدرانه أشبه بعلبة الحليب من الداخل. ثق بي، سيبدو المكان رائعاً متى أنهي عملي.

ساد الصمت في المكتب. إن كان يسعى خلف الإلهام، فمكتبه ليس المكان الملائم لهذا! ترى هل حان وقت إعلامها بالحقيقة والقول إنه يفترض بالمكاتب أن تكون على هذا النحو؟ ثم تساءل لما يبدوان كعروسين يختلفان على ديكور منزلهما.

- وماذا لو لم يبدو رائعاً؟.

فيما كانت تتحدث مع أندي اكتشفت أن شركة جاي ناجحة جداً، وأنه رجل ثري. لكن هذه المعلومات لم تغيّر مشاعرها تجاهه. لقد أعجبت به عندما اعتقدت أنه فقير، فما الذي يفترض أن يتغير الآن بعد أن عرفت أنه غني.

كان ينظر إليها بحدة كفيلة بجعلها ترتجف. وبعد لحظات قالت مطرقة:

- ربما من الأفضل أن أبدأ بالعمل على المكتب الخارجي.

لم يعرف جاي ما الذي يغضبه أكثر! أهو عمل كيري على طلاء المكتب المجاور أم صفير أندي الدائم من دون إنقطاع؟ مرّ وقت طويل لم يسمعه فيه يصفّر.

ظلّ بعيداً عن الأنظار إلى أن حان وقت الغداء، ثم توجّه بهدوء إلى المكتب الخارجي. ويا للمفاجأة، وجد أن أحد الجدران أصبح أزرق كلون البحر عندما تغطس فيه. إنه لون جميل للغاية، لكنه لم يفكّر يوماً في استخدامه لطلاء الجدران.

رأى كيري تجلس على المكتب وقد لطّخت أنفها ببعض الطلاء، فيما أندي ينظر إليها كجرو صغير وجد صاحبه. غضب جاي من دون أن يعرف السبب.

سأله بجفاء:

- ألن تخرج لتناول الطعام؟.

نظر أندي إلى ساعته وقام عن الكرسي.

- هل حان وقت الغداء؟.

ثم استدار نحو كيري وسألها:

- ماذا تحبين أن تأكلي أيتها الأميرة؟.

علت ابتسامة ضيقة ثغر جاي... أميرة؟.

ردّت كيري بسرعة:

- لا تقلق بشأني، فأنا نادراً ما أتناول الغداء.

قال جاي بحزم وهو ينظر إليها:

- ستأكل ما آكله أنا. يستحيل أن تتضوّري جوعاً، هل فهمتِ؟ فأنتِ لست أمام عدسات الكاميرا بل تبذلين جهداً جسدياً كبيراً، وأنا لا أريدك أن تفقدي الوعي في مكتبي.

شعرت أنه سيغمى عليها لكن ليس بسبب الجوع. كان جاي قد خلع سترته الجلدية فلاحظت أنه يرتدي قميصاً ضيقاً. ابتلعت كيري ريقها، لعل تناول سندويش ما ليس بفكرة سيئة.

- شكراً، هذه فكرة جيدة.

خيّم الصمت فيما التقط أندي سترته. وزادت وطأة الصمت عندما خرج من الغرفة. شعرت كيري بكافة الأصوات التي تحيط

www.elromancia.com

بها، من زقزقة العصافير في الخارج، وأبواق المراكب، إلى نبضات قلبها.

تسارعت نبضات قلبها بشكل جنوني عندما رأته يتجه نحوها، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة كسولة.

ـ أتعلمين أننا لم نحيي بعضنا بشكل لائق اليوم؟.

وشدّها إليه.

كانت تتدرب على هذه اللحظة وأرادت أن تقاومه، لكن، وبعد أن تواجها وجهاً لوجه، طارت مقاومتها من النافذة.

ـ مرحباً جاي.

ابتسم وعانقها:

ـ ألم تنتظري هذه اللحظة منذ الصباح؟.

حاولت جاهدة منذ الصباح ألاّ تفكر في هذا الأمر.

ـ كنت أركّز على الطلاء.

ـ وكيف استطعت أن تفعلي هذا؟.

ـ لا... لا... لا أعرف.

وقرّبها منه أكثر وعانقها.

همس:

ـ لا بدّ أنني جننت حين خيّل إلي أنني أستطيع أن أعمل أو أن أفكّر في أي شيء سواك وأنت بقربي.

رفعت رأسها إلى الخلف، وردّت:

ـ عليك أن تحاول وإلاّ ساءت أعمالك وألقيت اللوم عليّ.

ـ أريدك.

يفترض بأحدهم أن يوقف ما يجري لأنها ستعجز عن ذلك بعد دقائق.

ـ أعرف أنك ترغب فيّ وأنا أيضاً أرغب فيك، ولكن لا يفترض بنا أن نتمادى.

ـ نتمادى؟ نحن لا نفعل شيئاً. كل ما في الأمر هو أنني أعانقك.

لكن ما يجري عظيم، أقله بالنسبة لها. شعرت بأن مكانها الطبيعي هو بين ذراعيه وخشيت ألاّ تتمكن من مقاومته.

ـ سيعود أندي في أيّ لحظة.

ـ إنها ساعة الغداء. سأطلب منه أن يخرج في نزهة طويلة.

ـ الطقس بارد.

ـ إنه قوي مثلي. وهو معتاد على الطقس البارد يا عزيزتي، سيتفهم. لا تقلقي!

ـ لا جاي.

ـ أتحاولين إفقادي صوابي؟.

ـ لا، فلقد فقدته لتوّك.

ابتعد عنها وهو يضحك. ثم سألها:

ـ ماذا تنوين؟ أن تبقيني بعيداً عنك؟.

ردّت بحزم:

ـ نعم، خلال ساعات العمل.

فهم الرسالة المبطنة.

ـ أتريدين أن نخرج معاً لاحقاً؟.

إنه يخرق بسهولة قواعد السلوك كلها. سبق أن سمعت دعوات

www.elromancia.com

منمقة أكثر بكثير، لكنها لم تتحمس يوماً كما فعلت الآن.

وبالرغم من حماسها، إلا أنها أقسمت ألاّ تسهّل الأمور عليه كثيراً. وتساءلت إن كانت ستتمكن من مقاومته طويلاً.

راقب تردّدها، فقال:

ـ أو أنكِ منشغلة هذا المساء.

ركزت تفكيرها على مجموعة الفواتير التي يترتب عليها فرزها قبل تسديدها.

ـ أخشى أنني منشغلة.

ـ فهمت.

وفجأة ساد التوتر بينهما.

ـ هذه هي خطتك إذاً! أن تغريني، ثم تدفعينني بعيداً.

أكد لها ردّ فعله أنها أحسنت برفض دعوته. فرفعت حاجبيها:

ـ آه عجباً! أهذه هي ردّة فعلك دائماً عندما ترفضك امرأة ما!.

صحيح أنه غاضب ومرتبك، لكنه لم يكن عديم النظر ليخبرها أنها المرة الأولى التي ترفضه فيها امرأة ما. قال:

ـ إذاً، لن تخرجي معي هذا المساء؟.

صمتت قليلاً لتثير شكوكه ثم قالت:

ـ لا، ليس الليلة. اسألني مجدداً.

يا لثقتها بنفسها! أتراها قرأت تلك الكتب التي تقول إنّ دفع الرجل للتعلّق بالمرأة يقضي بأن تمارس عليه الألاعيب وتدّعي أنها دائمة الانشغال؟ فإذا ما ألغت ارتباطاتها لتبقى معه سيخيّب أملها حتماً.

حذّرها بقوة:

ـ أنا رجل لا يحبّ الانتظار.

أثار تعجرفه غضبها واستياءها، فهزت كتفيها بغير مبالاة، وقالت: «إذاً، لا تنتظر. هيا، وجّه دعوتك إلى فتاة أخرى. وإن كان هذا كل شيء، فأنا خارجة».

نظر إليها وهي تأخذ معطفها من مكانه وتخرج. لا بدّ أنها قرأت كتاباً ما، فتصرفاتها توحي بذلك، إذ تسعى إلى جعله ينتظر.

www.elromancia.com

١٠ ـ ليلة فريدة

سرعان ما أدركت كيري أنها لا تحبّ أن تنتظر، وقد جعلها جاي تنتظر ثلاثة أيام قبل أن يدعوها للخروج مجدداً. ثلاثة أيام من الترقب والحماس والخوف خشية أن يغيّر رأيه. ثلاثة أيام اكتشفت خلالها أنه يحبّ قهوته مرّة، وخبزه أسمر، وأنه يعمل من دون توقف، ولا يرغب في أن يتلقى اتصالات من امرأة تدعى كاندي.

سألت كيري وهي تقطع شريطاً لاصقاً: «من هي كاندي؟».

ردّ أندي:

ـ مجرّد امرأة من بين كثيرات. إنه يجذبهن كانجذاب الفراشات إلى النار، لكنه لا يلاحظهن في معظم الأحيان.

أتراه لا يهتّم بهن؟

حين خرج أندي لإحضار السندويشات، تجوّل جاي في الأنحاء وهو يفرك عينيه الناعستين.

تمتمت كيري، وقد تملكتها الغيرة:

ـ هل كانت ليلتك متعبة؟.

ـ وردني اتصال من الولايات المتحدة في وقت متأخر.

نظر إليها ثمّ أردف:

ـ لقد طليتِ أنفكِ.

ـ الطلاء منتشر على وجهي ويديّ.

ـ إذاً، هل سنخرج معاً هذه الليلة؟

ـ ظننتك متعباً.

اتسعت عيناه:

ـ فجأة، أشعر أني واعٍ ومرتاح.

لقد تكبرت عليه بما فيه الكفاية، عليها الآن أن تسترخي قليلاً.

ـ حسناً، ماذا تريد أن تفعل؟.

ابتسمت له وشعرت برغبة مفاجئة في ضمّه بين ذراعيها.

ـ القرار قرارك.

أرادت أن تقوم بشيء عادي، شيء يلهيها عن أن تنظر على الدوام إلى عينيه وتفكّر كم هو رائع.

ـ ما رأيك بالذهاب إلى السينما ثم تناول وجبة سريعة؟.

ـ السينما؟.

ـ ألا تعرف ما هي السينما؟ يدخل رجل وامرأة إلى غرفة كبيرة مظلمة حيث يشاهدان فيلماً على شاشة كبيرة، ويأكلان الفشار إن رغبا في ذلك.

ابتسم ساخراً. لم تكن السينما خياره الأول.

ـ حسناً، لِمَ لا؟.

ـ هل من فيلم معيّن تحبّ أن تشاهده؟.

www.elromancia.com

هز رأسه نفياً وقال:

- لِمَ لا تختارين بنفسكِ؟.

فُتح الباب وعاد أندي حاملاً كيساً كبيراً مليئاً بالطعام.

فكّر جاي بأن الأمر لا يسير بالسهولة التي توقعها.

كلّ ما يريده هو البقاء معها، وهاهما يتفقان على الخروج إلى السينما! أمر غريب، فهو لم يذهب منذ سنوات برفقة امرأة إلى السينما.

كان الظلام حالكاً، وقد غابت النجوم من كبد السماء. تعاني المدن من مشكلة خطيرة وهي كثرة الأنوار الاصطناعية التي تقضي على جمال الطبيعة. أضواء السينما جعلت وجه كيري يبدو أشبه بوجوه الأشباح لشدّة بياضه.

سألت:

- هل استمتعت بالفيلم؟.

- لا بأس به، بالرغم من أنني لا أحبّ الترجمة.

نظرت إليه قائلة:

- لأنك لا تحتاج إليها على عكسي أنا. أنت تجيد الفرنسية، أليس كذلك؟.

ردّ ساخراً:

- الفرنسيون أيضاً يجيدونها، خاصة الباريسيين منهم.

- لكنك لم تنشأ في باريس، فكيف تعلّمتها.

- قضيت بضع سنوات من حياتي في نيو أورلينز، وقد أصرّ

والداي على أن أتقن الفرنسية، لذا ارتدت مدارس تعلّم اللغتين. ربّما علينا أن نتناول الطعام الآن.

قطع حديثه سريعاً، متجنباً بذلك التحدث عن طفولته التي تبدو ممزّقة ومأساوية. أتراه يحاول أن يقول لها إنه لن يكرّر ما فعله سابقاً عندما كانا محتجزين ويخبرها أموراً شخصية عنه؟ لم تكن جائعة، لكنها ليست مستعدة لسماع المزيد من التعليقات عن شهيتها، فأومأت:

- فكرة جيدة.

- أين تريدين الذهاب؟.

- لقد اقترحت الفيلم فَلِمَ لا تقرّر أين نتناول الطعام؟

ساد صمت قصير، قال بعده:

- لكن قد لا يعجبك الاقتراح الذي سأتقدّم به.

ارتجفت ترقّباً.

- جرّبني.

- لا أريد تناول الطعام، بل أريد أن أضمّك إليّ وأعانقك حتى أرتوي.

لم يستطع رؤية احمرار وجهها أو الشعور بنبضات قلبها. ماذا يفترض بها أن تفعل؟ هل تغضب وتصرخ وتطلب سيارة أجرة؟ كل هذه الاختيارات مفتوحة أمامها، لكن ماذا اختارت؟.

ابتسمت بخفة وقالت:

- ثلاجتي مليئة بمختلف أنواع الأطعمة.

www.elromancia.com

لكنه كان قد أشار إلى سيارة أجرة مرّت قربهما.

التزما الصمت وهما يتوجهان إلى منزلها. لم يلمسها ولم يتفوّه بكلمة، فاشتعلت مشاعر كيري وشعرت بأنها ستنفجر.

بالكاد شعرت به وهو يدفع للسائق أو يقودها إلى المنزل. لكن عندما أغلق الباب وراءها وقرّبها منه ثم عانقها عناق المشتاق التائق دبّت فيها الحياة مجدداً.

جلسا على الأريكة متلاصقين حيث راح يعانقها ويتأمل جمالها فغابت في عالم من السحر والخيال. وفجأة، نظر إلى ساعته ووقف مستعجلاً.

ـ عليّ أن أغادر.

ـ لكنك لم تأكل شيئاً بعد.

ـ عليّ أن أرحل، فأنا أنتظر اتصالاً هاتفياً من الولايات المتحدة وكنت قد نسيت أمره تماماً.

ـ طبعاً.

قالت هذا بهدوء فاجأه، كما لو أنها فهمت ما يدور في خلده، وأدركت أنه بدأ يتعلّق بها وأراد الهرب. أرادت أن تتشبّث به وتضمّه بين ذراعيها وتخبره أنها متعلّقة به أيضاً.

ـ ألا يستحق الأمر أن تجادلي؟

اقتربت منه ببطء فمدّ يديه ليضمها إلى صدره، لكنه سرعان ما عاد وتراجع، وظهرت في عينيه تعابير لم تفقه معناها، وتساءلت عن حقيقة ما تشعر به نحوه وهل يبادلها الشعور ذاته؟.

ـ عليّ أن أذهب.

أراد أن يغادر. فابتسمت مرغمة وقالت:

ـ سأرافقك إلى الخارج.

سارا بصمت نحو الباب حيث عانقها بنعومة وانصرف.

ـ أراك غداً.

تمكّنت من هزّ رأسها بصعوبة بالرغم من أنها شعرت في أعماقها وكأنها فتاة صغيرة تريد أن تتشبّث به وترجوه ألاّ يغادر.

ـ طبعاً. إلاّ إن أردت أن تعمل في مكتب طلي جدار ونصف منه فقط.

بدا الحديث عن الطلاء غير مناسب أبداً. في الواقع، بدت المواضيع كلها غير ملائمة. أغلقت الباب بعدما غادر ويدها ترتجف، وأدركت أن عليها أن تنساه، وتنسى تأثيره فيها. لكن، كيف عساها تفعل هذا، وقد بدأ جاي لينور يسكن قلبها.

نامت بشكل أفضل ممّا توقّعت تلك الليلة. وعندما استيقظت وارتدت ملابسها كانت قد أقنعت نفسها بضرورة التصرف والتفكير بإيجابية. لا يحقّ لها أن تلومه لأنه لم يلبِّ توقعاتها الرومنسية، فإن كانت تحلم بالورود وبالأمسيات تحت ضوء القمر، فقد اختارت الشخص الخطأ. وصلت بعد أندي بقليل فجلست إلى مكتبه ترتشف القهوة.

ـ هل قضيت أمسية طيبة؟.

لم تظهر أي تعابير على وجهها.

ـ رائعة.

كان الرجلان مقرّبين جداً، فهل أخبر جاي أندي عمّا يدور بينه

www.elromancia.com

وبينها؟

- وماذا عنك؟.

- قضيت أمسية هادئة، أظن أنّ عليّ أن أخرج وأختلط بالناس أكثر.

- هل تحنّ إلى الولايات المتحدة؟.

ارتشف قهوته وهزّ رأسه.

- بريطانيا تناسبني. أحبّها لأنها صغيرة ومحاطة بالبحر، فهي تشعرك بالأمان.

- لكنها ليست موطنك؟.

ابتسم.

- وما هو الوطن؟ إنه المكان الذي تعيش فيه. إذاً، لا بدّ أنّ مئات البلدان وطني منذ بلغت الثامنة عشرة من عمري وحتى الآن وأنا في الثانية والثلاثين. والداي متوفيان، وشقيقاتي متزوجات ويعشن في أماكن مختلفة، لذا أظن أنني في موطني الآن.

هذا الكلام لا ينطبق على حياة أندي وحده بل على حياة جاي أيضاً. فقد اختبر حياة التنقّل والترحال نفسها كأندي وبعض الناس لا يسأم أبداً من الإثارة والاكتشافات الجديدة، وليس الاكتشافات الجغرافية فحب، بل الاكتشافات البشرية أيضاً.

سمعت خطوات جاي فتوترت أعصابها. كيف سيتصرف معها اليوم؟ ببرود؟ هل سيعلّق على ما حدث في الأمس؟ ماذا لو . . .؟ شعرت بالعرق البارد يتصبب من جبينها. ماذا لو أراد أن يقطع علاقته بها؟.

دخل ووضع خوذته أرضاً، ثم أخذ البريد الذي سلّمه إيّاه أندي وتوجّه مباشرة إلى مكتبه. لكن، وقبل أن يدخل إليه، مال برأسه قليلاً وقال:

- من فضلك تعالي للحظة يا كيري!.

راح قلبها يخفق بقوة، لكنها وقفت ومنحت أندي ما اعتقدته ابتسامة مشرقة، وتنمّ عن ثقتها بنفسها، ثمّ دخلت إلى المكتب الداخلي.

وقفت مسمّرة عند الباب فشعر جاي بالدم يغلي في عروقه.

- تفضلي بالدخول، وأغلقي الباب وراءكِ.

للحظة لم تقوَ على الحراك، وشعرت وكأنها مزروعة في الأرض كشجرة. وحده جاي يملك القدرة على إسقاطها إن شاء.

حافظي على الطابع المهني للعلاقة بينكما، قالت هذا في سرها وهي تغلق الباب، ثمّ رفعت حاجبيها بتهذيب:

- بم أستطيع أن أخدمك جاي؟.

- يمكنكِ أن تقتربي مني وتعانقيني!.

- ظننت أننا حاولنا القيام بهذا ليلة أمس، لكن الأمر لم ينجح تماماً.

نظر جاي إليها. هل خشي أن تنهار أمامه؟ لكن ألن تكون عندئذ كغيرها من النساء؟.

اتهمها:

- مزاجك معكّر هذا الصباح.

www.elromancia.com

- لا، أبداً.

- أنتِ تتصرفين بعناد إذاً.

ابتسمت وهي تشعر بقوتها تعود إليها:

- لماذا؟ لأنني أرفض أن أنفّذ ما تطلبه مني؟.

ضحك.

- أظن ذلك.

جال بنظره عليها من رأسها إلى أخمص قدميها. واستمتع برؤية خدّيها يصطبغان بالاحمرار، وعينيها تسودّان أكثر فأكثر. استمتع جداً بتردّدها، وسألها:

- إذاً، ما زلتِ لا تريدين أن تعانقيني؟.

- لا علاقة للرغبة في هذا الأمر، سبق أن اتفقنا على هذا.

ثمّ عبست وسألت:

- هل يعرف أندي؟.

جمد جاي في مكانه.

- يعرف ماذا تحديداً؟.

أوشكت أن تقول عن علاقتنا، لكنها عرفت أن هذه العبارة غير مناسبة وستزعجه. لذا قرّرت أن تستخدم تعابير أقرب إلى تلك التي يستخدمها أسود البحر. فسألت:

- أيعرف أننا نخرج سوياً؟.

وما إن تلفظت بهذه الكلمات حتى شعرت بغرابتها.

رفع جاي حاجبيه:

- حسناً، أنا لم أتصل به البارحة بعد أن خرجت من منزلك إذا كان هذا ما تلمحين إليه، ومالم تكوني قد أخبرته قبل مجيئي، فلا أظنه عرف.

- إذاً، لم تخبره عن المنزل في الريف؟.

ضاقت عيناه.

- أتمزحين؟ كيف عساي أطالب الموظفين بالالتزام بالسرّية والاحتراف ما لم أتقيد بنفسي؟.

ردّت غاضبة:

- أيها السافل! أعذرني لأنني جعلتك تخالف شروطك السامية!.

- كيري! لم أقصد هذا! فأنا لا أتجوّل وأخبر الناس عن انتصاراتي إن كان هذا ما تعنيه.

- لم أكن أعرف أنني انتصار من انتصاراتك.

- تباً! لِمَ تحرّفين كلامي؟.

- هل ترغب في أن نتحاور مستعملين لغة الإشارة؟.

- لا بل لغة اللمس.

وسُرّ عندما رأى شبه ابتسامة ترتسم على شفتيها، فسألها:

- ما رأيك بالخروج لمشاهدة أحد العروض هذا المساء؟.

رمشت كيري بعينيها من الدهشة:

- أي نوع من العروض؟.

- هل تحبين العروض الموسيقية لأنني أملك بطاقتين؟.

www.elromancia.com

- لحضور ماذا؟.

وبعينين لامعتين ذكر اسم استعراض موسيقي يضمّ نجمين من نجوم هوليوود اللامعين.

- لا يعقل أن تملك بطاقتين لحضور هذا العرض، فمن الصعب الحصول على هذه البطاقات!.

ردّ ببرود وكبرياء:

- بل لديّ بطاقتان. فهل أمرّ لاصطحابك لاحقاً؟ قرابة السابعة؟ يمكننا تناول وجبة خفيف قبل حضور العرض إن شئتِ.

ابتسمت كيري، وقد أنبأها أن هذه الليلة ستكون مختلفة. إنها على موعد حقيقي معه.

فقالت وقد ابتسمت فرحة: «أودّ هذا كثيراً».

١١ - في مهب الريح

حطّت الطائرة وصفّق الركاب فيما ابتسم جاي. صادفت الرحلة الكثير من المطبات، كما تعرّضت الطائرة لعواصف رعدية فخاف معظم الركاب باستثنائه. فقد سبق أن خبر رحلات أشدّ قسوة من هذه وهو يعلم تماماً أنه لو كُتب للطائرة أن تتحطّم، فالصراخ لن يمنع ذلك.

ذهب في رحلة عمل خاطفة إلى مانشستر بعد أن استدعاه أحد زبائنه لحل قضية طفل علق وسط معركة طلاق. كان الطفل قد اختفى ولم تتمكن الأم من إيجاده، ومن شدّة يأسها اتصلت بشركة لينور.

كان الوضع حساساً للغاية، وقد سافر جاي ليساعد الموظف الذي يعمل لديه على حلّ هذه القضية التي عانى هو نفسه من ظروف مماثلة لظروفها يوماً. شعر بالخطر والترقب في تلك الليلة، وفي الفجر البارد الذي سبق إعادة الطفل إلى برّ الأمان.

عرف جاي أنّ مشاعره متورّطه في هذه القضية وصعب عليه التصرف بحيادية، والنظر إلى القضية بموضوعية وتجرّد. وعوضاً عن ذلك، وجد نفسه يعاني معاناة الطفل ويشعر بالخوف الذي شعر به. شارك الطفل مشاعره كلها، وأحسّ بأنه الوحيد الذي يفهم معاناته.

تماماً كما شعر بخوف كيري عندما أخبرها أنه مسافر في رحلة عمل إلى الجنوب.

www.elromancia.com

سألت: «ما طبيعة هذا العمل؟».

ـ الأمر لا يعنيكِ يا عزيزتي.

لقد جرحها وأذاها بكلمته فاسودّت عيناها وذاب قلبه. لكن ماذا توقعت؟ أن يقدّم لها موجزاً عن القضية ويطلعها على تفاصيل عمله؟ الأمر لا يتعلّق بالسرية، وهي ضرورية لنجاح هذه القضية، بل يتعدّاه لذلك الشعور بأنه يحقّ لها أن تعرف لأنها على علاقة به. أتراها تنوي أن تحضر له الطعام وتتوقع اتصالاً منه إذا تأخر بالعودة؟.

زمّ فمه. إن النساء متشابهات، يبنين العلاقات ويقلقن بشأنها. فإن وضعت امرأة واحدة على مركب مليء بالرجال تنقلب أحواله رأساً على عقب. فالنساء يغيّرن نمط الحياة، وفي هذا تكمن نقطة ضعفهنّ وقوّتهنّ.

حسناً! إنه لا يريد هذا، ولم يرده يوماً. وكلّما عرفت هذا بسرعة، كلّما كان أفضل. وإن رفضت تقبّل الأمر، فعليها أن تعرف أن ما بينهما ينتهي برفضها هذا.

وجد عند عودته ورقة كتب عليها:

«تعال فور عودتك. سأطهو لك العشاء». ك...

ضاقت عيناه. إنه يعرف ما يريده الآن، وهو ليس تناول العشاء. كلّ ما يريده هو الارتماء بين أحضانها ونسيان همومه وتلك الرحلة المزعجة.

عندما فتحت الباب، كان شعرها مشعثاً وقد بدت متعبة.

ضاقت عيناها:

ـ يا إلهي هل حان وقت عودتك؟.

ضمّها إلى صدره. كانت رائحة الحليب والتفاح تفوح منها.

ـ مرحباً حبيبتي.

ضمّته بسرعة ثم ابتعدت عنه عندما سمعت صوت بكاء آتٍ من غرفة الجلوس.

تسمّر جاي في مكانه، وعاودته ذكرى ذلك الطفل الذي أنقذوه.

ـ ما هذا بحق السماء؟.

توجهت إلى غرفة الجلوس وهي تقول:

ـ تفضل... تفضل... إنه ويليم.

تبعها. كان البكاء يتعالى وحين وصل إلى غرفة الجلوس كاد لا يعرفها لعدم ترتيبها. رأى الوسادات و الأوراق مبعثرة في كل مكان، ووسط هذه الفوضى، رأى طفلاً متعلقاً بعنق كيري. نظرت إلى عيني جاي نظرة عجز.

ـ لا تبكي حبيبي، لا تخف، وصل جاي.

أدار ويليم رأسه، ونظر إلى جاي، ثمّ صرخ بأعلى صوته وراح يبكي مجدداً.

ـ سيكون على ما يرام خلال دقيقة ما إن يتعرّف إليك، فهو يتصرّف بغرابة مع الغرباء.

لا بدّ أنه ابن أختها. ماذا يفعل هنا؟.

ـ أرادت إيرين الذهاب لتقليم أظافرها.

زادت هذه العبارة من استيائه. أذهبت أختها لتقليم أظافرها تاركة ابنها يبكي هنا؟ أهي كأختها تهتمّ فقط بمظهرها الخارجي؟.

ـ لِمَ لا تسكب لنفسك عصيراً؟ ثمة عصير طازج في الثلاجة.

قالت كيري هذا وهي تتساءل لما يبدو جاي عابساً إلى هذا

الحدّ؟ أيعقل أن يكون وجود ويليم قد أزعجه؟

ردّ باختصار:

ـ لا أريد شرب العصير. لقد شهدت ليلة صعبة ويبدو أنكِ منشغلة، لذا، سأراكِ غداً.

رآها تفتح فمها وقد اختلط شعرها بشعر ويليم الذي بدأ يهتمّ أكثر فأكثر بجاي إذ راح ينظر إليه باستمرار. لاحظ ارتياح الطفل بين ذراعيها فبدت مختلفة تمام الاختلاف عن ملكة الثلج التي عرفها. من تراه حلم بأن تصبح كيري يوماً كأيّ أم عادية؟

انتقدت مشاعره نحوها. إنه يريدها له وحده، ولا يريد أن يرغب فيها إلى هذا الحدّ.

ـ حسناً.

قالت هذا وهي تراه يغادر ولم تستطع كبح الألم الذي اعتصر فؤادها.

شيء غريب يحدث. إنه يبتعد عنها. ولكن ألم يتكرّر هذا الأمر مؤخراً؟

عرفت أنها تتعلق به، وأنها تخطت نقطة اللاعودة بأشواط، لكن ما بيدها حيلة. لقد أقنعت نفسها والأمل يملؤها، بأنّ ما من داعٍ لأن تردع نفسها عن التعلّق به.

إلاّ أن الأمر مختلف اليوم. فحين يسوء الوضع، يتملّكها شعور بالتشاؤم. وضعت ويليم على الكنبة وأعطته تفاحة فيما راحت تلتقط الوسادات على الأرض. ركزت انتباهها على عملها كيلا تفكّر بالألم الذي سببه لها جاي لتوّه.

قطع وصول إيرين حبل أفكارها، ورأت وجهها يشعّ.

ـ كم أشعر بالروعة، فأنا لم أفعل هذا منذ... فترة طويلة نسبياً.

ـ من يعلم، قد أتمكّن يوماً من إقناعك بالذهاب إلى مصفّف الشعر.

توقفت إيرين عن إقفال أزرار معطف ويليم ونظرت إلى أختها عابسة:

ـ مهلك الآن! ماذا جرى؟.

ـ لا شيء.

ـ كيري، أنتِ تتحدثين إليّ، أتذكرين هذا؟.

تنهدت كيري.

ـ أتى جاي قبل قليل.

نظرت إيرين من حولها.

ـ أين هو الآن؟.

ـ غادر إلى منزله.

ـ غاضباً؟.

ـ لِمَ تقولين هذا؟.

ـ أنظري إلى حالكِ. هل تشاجرتما؟.

ـ لا، لا، لم نتشاجر.

ـ إذاً، ما الخطب يا كيري؟.

ـ كنت أفكر في أنني لم أزر منزله يوماً.

رفعت إيرين حاجبيها:

ـ هذا أمر غريب!.

ـ أتظنين هذا؟.

ـ طبعاً، لعله يخجل من دعوتك إلى منزله.

ضحكت كيري:

ـ جاي! خجول! لا أظن ذلك.

ـ اسمعي، ما من داعي للتصرّف بسلبية. لِمَ لا تذهبين إلى منزله وتفاجئينه؟.

ـ لا، لا أستطيع.

ـ بحق السماء يا كيري! هل أنتِ امرأة ناضجة أم فتاة مراهقة؟ ما أسوأ ما قد يحدث؟ ألاّ يدعك تدخلين!؟.

لكن هذا لم يكن أسوأ الأمور، إذ خشيت أن يكون قد سئم، ويرغب في وضع حدّ لعلاقتهما. هل ستكمل حياتها بشكل عادي إن تخلّى عنها؟ لا، حتماً لا.

لكن، إن كان سيتّخذ ذهابها إلى شقته من دون دعوة عذراً كي يقطع علاقته بها، فيستحسن بها أن تعرف الآن!.

استقلت سيارة أجرة. إنه يعيش في منطقة «غرين ويتش» بالقرب من النهر والحديقة العامة، وهو يركن دراجته النارية أمام المنزل بجوار سيارات الجيران الفخمة.

ارتجفت أصابعها هي تضغط على الجرس. وحين فتح الباب، لم يكن يرتدي سوى سروال جينز، فيما قدماه حافيتان وشعره مبلل. ارتسمت على وجهه علامات القلق والمفاجأة وقال:

ـ كيري! يا لها من مفاجأة!

وقفت مكانها ونظرت إليه، فهي لن تدعو نفسها للدخول بل ستنتظر دعوته.

ـ تفضلي.

ـ شكراً.

دخلت ونظرت من حولها. الشقة كبيرة جداً وتطلّ على النهر، لكنها فارغة... فارغة إلى حدّ أن المكتب يبدو مليئاً بالأثاث مقارنة بها. لم ترَ فيها إلاّ الأثاث الضروري، من أريكة جلدية كبيرة في غرفة الجلوس، وطاولة طعام خشبية وكراسٍ من حولها في غرفة الطعام. في الزاوية، لاحظت مطبخاً صغيراً أشبه بمطابخ الطائرات، وجهاز ستيريو ضخماً.

بدت شقته شبيهة بمكتبه، إذ خلت تماماً من أيّ ديكور، ولم تضمّ إلاّ الحاجات الضرورية، ما جعلها تبدو كمقرّ مؤقت استأجره وهو مستعد لمغادرته في أي لحظة.

ـ تفضّلي بالدخول، هل أحضر لكِ شيئاً تشربينه؟.

على عكسه، لم ترفض طلبه.

ـ نعم، من فضلك.

جلست على الأريكة، وأسندت ظهرها إلى الخلف تحاول أن تستريح.

سألت: «هل تقطن هنا منذ مدة؟».

رآها تعبس.

ـ منذ حوالى العام. هل أعجبتك الشقة؟.

ـ حسناً، إنها عملية.

ـ هكذا أحبها أن تكون.

يا له من شخص حساس! وأدركت أنه لا يريدها أن تبدي رأيها

www.elromancia.com

بشقته. سكب كوبين من عصير الليمون ثم ناولها أحدهما وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة.

ـ أطهو طبقاً تعلّمت تحضيره في نيو أورلينز فهل سبق لك أن تذوقت هذه الأطباق؟.

هزت رأسها نفياً وهي تشرب جرعة من العصير، وقد تفاجأت من اعتماده على نفسه.

ـ لا، أبداً.

ـ إذاً لقد فاتك الكثير.

عندما حان وقت جلوسهما إلى المائدة أيقنت أنها جائعة جداً. وقدّم لها الأرزّ والقريدس في طبق.

ـ تفضلي وتذوقي.

وفعلت. كان الطعام لذيذاً فعبّرت عن رأيها بتنهيدة عميقة. راقبها قليلاً.

ـ أنتِ تستمتعين به فعلاً، أليس كذلك؟.

نظرت إليه.

ـ لِمَ تبدو متفاجئاً هكذا؟.

ـ لأنني متفاجىء فعلاً، فحين التقيتك للمرة الأولى، بدوت وكأنك تُعادين الطعام.

ـ حسناً، لم أعد كذلك! فأنا أتناول العشاء كل ليلة والسندويشات معظم الوقت.

تأملها مطوّلاً.

ـ تبدين بحالة جيدة.

ـ إن كنت تقصد أنني كسبت وزناً، فأنت محقّ. بالكاد تمكّنت من إقفال أزرار سروالي هذا الصباح.

وضعت الشوكة جانباً، وشربت جرعة كبيرة من العصير ثمّ تابعت:

ـ الله وحده يعلم ماذا سيجري في جلسة التصوير المقبلة.

علق كلامها في الفضاء. وسأل جاي بحذر:

ـ هل ستكونين قد أنهيت العمل في المكتب؟.

اعتراها الخوف فجأة، لكنها تمكّنت من إخفائه.

ـ طبعاً سأفعل! فهذا عملي! ماذا تخيّلت؟ أن أتخذ الديكور الداخلي مهنة جديدة لي؟

ـ لِمَ لا؟ فأنت تجيدين ذلك.

ـ أولاً، أنا لا أملك المؤهلات اللازمة ولا الخبرة الضرورية.

ـ وما العيب في ذلك؟.

ـ الأمور لا تسير على هذا النحو.

شعرت بالغضب، وخشيت أن تضع حدّاً لمهنتها وهي لا تزال تجهل إن كانت ستراه مجدداً. فهو لم يتحدّث عن هذا الموضوع ... وهي تخشى أن تسأله.

ـ لقد توقفت عن الأكل.

تباً له! تباً لعناده وعدم مبالاته!.

أبعدت الصحن من أمامها، ومدّت ذراعيها إلى الوراء، واعترفت:

ـ أنا أيضاً متعبة.

www.elromancia.com

عرف أنها تحاول إظهار قوتها. أراد أن يعانقها ويطلب منها أن تبقى معه وتنتقل للعيش في شقته. لكن ماذا بعد ذلك؟ سيذهبان للتسوق معاً، ويقضيان الوقت كله سوية، وهذا ما لا يريده.

ـ تعالي إلى هنا.

شيء ما في نبرة صوته منعها من رفض طلبه، بالرغم من رغبتها في ذلك.

ضمّها إليه كما لم يسبق له أن ضمّ امرأة أخرى. ضمّها بكلّ ما أوتي من حماسة وشغف، فشعرت وكأنها نسمة في مهبّ الريح، حرّة طليقة، واستسلمت لعناقه بغبطة وفرح.

١٢ ـ رحلت

في صباح اليوم التالي، كان المطر ينهمر بغزارة، فتبلّل وجه كيري وشعرها وحقيبتها هي تخرج من سيارة الأجرة وتتجه نحو السلالم. وما إن وصلت إلى المكتب حتى أدركت أن العمل فيه شارف على الانتهاء. بدا التغيير الذي أحدثته مذهلاً. فقد أضفت الألوان المشرقة القوية تأثيراً أكبر ممّا توقعت، وعكس اللون الأزرق السماوي زرقة المياه في الخارج كما ساعدت مساحة الغرفة الشاسعة على إبراز هذا الانعكاس.

حتى جاي أقرّ بهذا التغيير إذ قال لها يوماً: «يعجز بعض الناس عن رؤية الإمكانات التي تقدّمها الأماكن، إلاّ أنكِ تتمتعين بهذه المقدرة، وهذه هبة من الله. فالمكان يبدو مختلفاً للغاية».

وتساءلت: أتراه سيسمح لها بشراء بعض اللوحات؟ فهي تعتقد أنّ بإمكانها أن تجد لوحات جيدة عن نيو أورليتز، فقد عاش بضع سنوات هناك، وهو يحب الطعام النيو ـ أورليتزي.

كما يمكنها أن تضع نبتة كبيرة في الزاوية. ألا يفترض بالمكاتب أن تحتوي على نباتات؟ لعله يحب العيش في مكان أشبه بالزنزانة المنفردة، لكن ما من داع لأن يعمل في مكان كهذا.

وجدت أندي يتحدث على الهاتف، فعلّقت معطفها وتساءلت عن ردّ فعل جاي إذا ما رآها مبتلة كسمكة في المحيط.

www.elromancia.com

أقفل أندي الخط واستدار نحوها.

ـ مرحباً أندي.

أنبأها حدسها بحدوث خطب ما.

اعتادت كيري على أندي وبدأت تستلطفه. فهو هادىء الطبع عادة، فَلِمَ ظهر عليه الاضطراب فجأة؟

ـ أين جاي؟.

أخذ نفساً عميقاً، وبدا كشخص تمرّن على ما سيقوله، أو على الطريقة التي سينقل فيها الخبر.

ـ رحل.

ـ رحل؟ إلى أين رحل؟.

ـ اضطر للسفر إلى نيويورك هذا الصباح.

ـ وكم سيغيب؟.

ـ لم يقل، فهو لم يخطط لهذا يا كيري.

حدّقت من دون تركيز إلى الأرض. صحيح أنه لم يخطط للأمر مسبقاً، ولكن الهواتف تتوافر هذه الأيام، كما كان بإمكانه أن يترك رسالة.

يمكن للمرء أيضاً أن يرسل بريد إلكترونياً من المطار. لكن جاي لم يفعل أي من هذا، بالرغم من توفر مختلف وسائل الاتصالات.

ظهر بعض الشفقة والتعاطف في نبرة أندي.

نظرت إلى الأعلى وسألت:

ـ أنت تعلم أنني كنت أخرج معه أليس كذلك؟ هل أخبرك بنفسه؟.

هز رأسه نفياً:

ـ جاي لا يناقش أموره الشخصية معي أبداً. لقد اكتشفت ذلك بنفسي.

وابتسم لها ابتسامة رقيقة ثم تابع:

ـ فحين يبذل شخصان جهداً كبيراً للبقاء مبتعدين عن بعضهما البعض، فلا بدّ من وجود خطب ما.

نعم، لقد تجنبا بعضهما البعض كثيراً في العمل، بناء على رغبة جاي. لكن، وبعد التفكير ملياً، يبدو أن جاي تجنبها في العمل وخارجه!.

تساءلت إن كانت تضخم المسائل في عقلها وتتخيّل أموراً ليست صحيحة؟ أرادت أن يكنّ لها مشاعر حقيقية وعميقة، شبيهة بتلك التي تكنّها له، لكن تبين لها أنه لن يفعل.

ربت أندي على يدها في محاولة لأن يعزيها:

ـ لا تعتبري الأمر شخصياً! فهذه طبيعته ليس إلا.

ـ وما هي طبيعته هذه؟.

أخذ نفساً عميقاً، كما لو أنه يراجع نفسه ليقرّر ما إذا كان عليه أن يخبرها الحقيقة أم لا. ثم ظهر العزم في عينيها، وقرر أن يخبرها. قال:

ـ هذه طبيعته كيري. يرفض أن يمتلكه أحد أو يقيّده. إنه روح حرّة. ما إن يشعر بأنه على وشك أن يفقد حريته يهرب.

ـ يهرب ممّا؟ أيهرب من ذاته؟.

ـ من يدري؟ ربما!.

www.elromancia.com

لزم الصمت لفترة وجيزة ثمّ أردف:

ـ دعيني أخبرك شيئاً. أنا أعرف جاي منذ فترة طويلة، وهو أفضل ضابط عرفته في حياتي، لكني أشعر أحياناً بأنني لا أعرفه رغم طول معرفتي به. إنه قوي وبارد، ولا يتعلّق بشيء. يجب أن يكون هكذا، فهذه صفات أعظم القادة. حين تركت أسود البحر، حسناً، فلنقل... إني فقدت اتزاني. يحدث هذا مع العديد من الشبان إذ يعجزون عن التأقلم مع الحياة المدنية، وكنت واحداً منهم. فأدمنت على الكحول، وعرّفني أحدهم إلى المخدرات. حين وجدني جاي، كنت على شفير الهاوية. حملني واعتنى بي، وهددني قائلاً إنني إن عدت إلى الكحول أو المخدرات مجدداً، فسيعمل على التخلص مني بنفسه، وصدّقت كلامه.

تغير صوته، وازدادت زُرقة عينيه، وهو ينظر مباشرة إلى عينيها، وتابع:

ـ ومنذ ذلك اليوم، لم أنظر إلى الخلف مجدداً. قدّم لي عملاً عندما بدأ في إنشاء هذا المكتب. وبدوري بذلت جهداً كبيراً لأنني أردت أن أظهر له امتناني. فأنا أدين له بحياتي.

أومأت كيري، وللحظة كاد شعورها بالفخر بما فعله جاي مع أندي يطغى على شعورها بالمرارة جرّاء هجره لها.

أضاف أندي:

ـ كيري، جاي رجل ينقذ الناس. هذا ما يفعله. إنه يرى حاجتهم، فيلبّيها، ثم يمضي في حال سبيله.

بدا وكأنّ اللغز قد حلّ.

إنه ينقذ الناس!

طبعاً، نعم، هذا ما يفعله...

لقد تدخل فأنقذها من الثلج أولاً، ومن عدم رغبتها في التعلّق بأيّ رجل ثانية. بعدئذ شجعها على استغلال مواهبها في الديكور عوضاً عن الاكتفاء بالوقوف أمام عدسات الكاميرا.

إن لم يحقّق لها حلمها بالبقاء معها، فهذا لا يعني أنه فشل في مهمته، بل يعني أنها فشلت في فهمه، أو رفضت أن تفهمه بكل بساطة.

هزّت رأسها كشخص تلقى لتوه خبراً سيئاً لكنه يأبى أن ينهار تحت وقعه.

ـ حسناً، يستحسن بي أن أنهي ما أتلقى أجراً عليه.

ابتسمت كما لو أنها تقف الكاميرا، ثم أضافت:

ـ ألا يحق لي بقهوة هذا الصباح، يا سيد أندي باكستر؟.

أخبرت إيرين ما جرى وهي غارقة في الدموع، ثم قالت:

ـ أنا بحاجة ماسة إلى سيجارة.

ردّت إيرين بحزم:

ـ لا، لن تدخّني، فقد أقلعت عن التدخين منذ سنوات عديدة، ولن تعودي إليه الآن. لعلّ العلاقة لم تنته كما تتخيلين.

ولكن أليس هذا أسوأ؟.

لن يغير جاي شيئاً في حياته، فقد كان سعيداً قبل أن يلتقيها. ولعلّه محق، فالعيش من دون قيود أمر ممتع من دون شك.

ولكن إن عاشت على أمل أن يعودا إلى بعضهما البعض، فستنمو مشاعرها أكثر ويزداد تعلقها به. فإلى أين قد يؤدي بها هذا؟.

ـ لا بد أن الأمر انتهى. أريد أن أعلم أنه انتهى بشكل نهائي كي أرتاح ويهنأ بالي.

ـ وماذا لو اتصل بك؟ هل ستقولين له هذا الكلام؟.

ساد الصمت للحظة، ثم نظرت كيري إلى أختها، وقالت:

ـ حسناً، كنت آمل أن تقومي بهذا عني.

لم تصدق إيرين أذنيها:

ـ لا، كيري! لا بدّ أنك جننت!.

ـ أرجوك أختي! لطالما فعلنا هذا في صغرنا، فما الفرق الآن؟.

ـ هل أنت جادة؟ الأمور مختلفة الآن عن السابق، فنحن لم نعد صغيرتين، وغير ناضجتين. كما أنني كسبت نحو عشر باوندات.

ـ ما من مشكلة، يمكنك ارتداء سترة واسعة.

بدت إيرين غاضبة:

ـ بحق السماء كيري! أنت على علاقة بهذا الرجل! ماذا لو تودّد إلي؟ أظنه يعلم أن لك أختاً توأماً؟.

أومأت كيري نفياً.

ـ إذن، كم سيحتاج من الوقت ليعرف الحقيقة؟ حوالى الثانية!.

عبست كيري. لعل أختها محقة. لن يعرف جاي الحقيقة سريعاً فقط بل سيستشيط غضباً أيضاً.

أتراها تهتم لاستيائه؟.

لا... لا تكترث للأمر!

ردّت كيري: «يمكننا أن نعد للقاء في مطعم مكتظ بالناس، حيث لن يلمسك لأنه يكره عرض مشاعره للعلن. عندئذ، ما إن تحضري

حتى تخبريه، ثمّ تغادرين، وتتركينه يسدد الفاتورة. سيبدو الأمر كغداء عمل، وستغادرين من دون أن يلاحظ أنكِ أنتِ وليس أنا».

ـ ماذا تريدينني أن أخبره على وجه التحديد؟.

ـ ستقولين إنك لا تريدين رؤيته مجدداً. لست مضطرة لأن تشرحي أسبابك فقد رحل من دون أن يعطيني أيّ تفسير.

ـ لكن ماذا لو اتصل؟.

ـ لا، لن يفعل، لقد خرجت من مكتبه، أي من حياته أيضاً. لعلها الطريقة التي اختارها لفسخ العلاقة من دون أن يبذل عناء إخباري بقراره شخصياً.

ساد صمت طويل، وحين تكلّمت إيرين، ظهرت على وجهها الجدية:

ـ ولِمَ لا تخبرينه بهذا بنفسك؟.

حان وقت الاعتراف بالحقيقة، وما من مهرب أمامها.

ـ لأنني لا أعتقد أنني قادرة على مقاومته، ولعلني لا أريد مقاومته. لكنني مضطرة لهذا... عليّ أن أفعل هذا. فإن ضمني إليه وأقنعني بالبقاء، فسأؤجل الأمر المحتم ليس إلا، وأزيد من إمكانية تعرّضي للأذى لاحقاً. أرجوك إيرين. أرجوك.

وبعد صمت طويل، قالت إيرين:

ـ شعري مختلف عن شعرك.

ابتسمت كيري ونظرت إلى أختها بحنان.

ـ أظن أن وقت الحداد انقضى، وأنا على يقين من أن مصفف شعري سيكون أكثر من مسرور إن صفف لك شعرك. اعتبريها هدية

www.elromancia.com

مني، عربون شكر على إتمامك عملاً أعجز عن القيام به بنفسي. تذكّري كم شعرتِ بالسرور عندما أقنعتك بتقليم أظافرك.

لمعت عينا إيرين ترقّباً، وقالت مبتسمة:

ـ يجب أن أرتدي سترة فضفاضة إذاً. تذكّري، لا بدّ أن يكون المطعم مكتظاً بالناس.

وضع جاي خوذته ونظر من حوله، يتأمل اللوحات المشرقة والجدران الملونة، والنبتة الكبيرة التي أضفت حيوية على الغرفة. عبس، لم يتذكر وجود نبتة هناك.

توجّه إلى النافذة ونظر إلى الشمس التي تتراقص على صفحة المياه. كان العمل في نيويورك ضرورياً لكنه ليس طارئاً، إلاّ أنه احتاج إلى الرحيل. احتاج إلى تغيير في الجو، وفي الأشخاص. لم يفشل السفر يوماً في تغيير نفسيته ومزاجه، إلاّ هذه المرة. ترى لِمَ لا يشعر بالتحسّن؟.

يعرف جاي نيويورك جيداً، فهي مدينة لا تهدأ ولا تنام، إلاّ أنه شعر بالفراغ بالرغم من الزحمة.

اشتاق إلى كيري، وتذكر عينيها الواسعتين السوداوين. كان يفكر كل صباح في أنه قطع العلاقة وهرب باكراً هذه المرة، وأنه تخلى عن شيء ثمين للغاية. لكنه ولسوء الحظ، لم يتمكن من رؤية الحقيقة قبل أن يبتعد.

سأل: «أين هي؟».

ناوله أندي كوباً من القهوة وسأله ببراءة:

ـ من؟.

صاح جاي:

ـ كيري طبعاً! ومن تظن؟.

ـ انتهت مهمتها سيدي، ورحلت.

تمتم مطرقاً:

ـ رحلت؟.

عاد المكان لهما وحدهما. يفترض به أن يُسرّ إذ سيتمكّن من العمل بهدوء الآن، من دون أن يشتت تفكيره وجود امرأة جميلة تطلي الجدران. عبس:

ـ وماذا قالت؟.

ـ لم تقل الكثير. وضعت لك فاتورة كلفة العمل على مكتبك.

دخل جاي إلى مكتبه ووجد مغلفاً على الطاولة، ففتحه.

لم يجد في داخله سوى فاتورة. لم يجد رسالة صغيرة تقول: آمل أن يعجبك الديكور الجديد، أو أرسل لك قبلاتي. لا شيء...

ماذا توقع بحق السماء؟.

رفع سماعة الهاتف واتصل بها. رن الهاتف مرات عديدة فخيّل إليه أنه سيضطر إلى ترك رسالة على المجيب الآلي، إلا أنها أجابت بنفسها: «آلو؟».

ـ كيري؟.

انتفض قلبها في صدرها، لكنها قالت في سرّها: الزمي الهدوء.

ـ جاي؟.

ابتسم وردّ:

ـ نعم، هل اشتقت إليّ؟.

أجبرت نفسها على عدم لومه وكبحت السؤال الذي ودّت لو

www.elromancia.com

نطرحه عليه، فلم تقل: لِمَ غادرت من دون أن تخبرني؟ لن تظهر له أنها مجروحة ومهتمة. على أيّ حال، لا يحق لها أن تقول هذا، فهو لم يعدها بشيء.

ادّعت:

ـ كنت منشغلة بتصوير إعلان.

ـ أحقاً؟ أهو مثير للاهتمام؟.

ـ في الواقع، صوّرت اعلاناً للجوارب.

ـ إذاً، متى سأراك؟.

غادر من دون أن يخبرها، وها هو قد عاد، ويتوقع منها أن ترتمي بين ذراعيه كما لو أن شيئاً لم يكن. لا، لن تجري الأمور بهذه الطريقة.

أوشكت أن تفقد أعصابها، لكنها عادت وأقنعت نفسها بأن هذا هو الحل الأمثل. يستحسن بها أن تعاني من شوقها إليه الآن بدلاً من أن تتعلق به أكثر، فيعود ويتخلى عنها.

حين تصل العلاقة إلى نهايتها، فلا بدّ من وضع خاتمة لها. لكنها لا تثق في قدرتها على اختيار هذه الخاتمة.

نظرت إلى مفكرتها: لا يفترض به أن يعلم أنها متفرّغة تماماً.

ـ ماذا عن تناول الغداء غداً؟.

ردّد وراءها متفاجئاً:

ـ الغداء؟.

ـ أنت لا تمانع في تناول الغداء غداً، أليس كذلك؟.

بالطبع يمانع، فهو يريد أن يراها الليلة، كما أنهم سيحتاجونه

حتماً في المكتب بعد ساعة الغداء، لذا لن يتمكن من البقاء طويلاً معها.

هزّ جاي رأسه. أراد أن يراها في هذه اللحظة أو الليلة. لكنه يعلم أنه لا يحق له أن يطلب منها هذا، وشعر بأنها تتحدث معه ببرود، وأدرك أنه يستحق مثل هذا الجفاء.

وافق:

ـ حسناً، يمكننا الخروج للغداء. أين؟.

أغمضت عينيها وهي تعطيه عنوان المطعم. سامحني يا ربي! لكن عليّ أن أتصرّف بهذه الطريقة.

www.elromancia.com

١٣ ـ برّ الأمان

تعالى الهمس في المطعم، فيما تركز نظر جاي عليها وهي تدخل.

لم يكن الوحيد الذي التفت إليها، ولم يتفاجأ لذلك. فهي جميلة، جميلة للغاية، ولم يسبق له أن رآها من بعيد. رآها تعبر الغرفة المكتظة بالناس، فضاقت عيناه.

توجّهت إلى الطاولة، وهي تضغط بأصابعها على حقيبة يدها.

ـ مرحباً.

رد بدفء: «مرحباً».

جلست. كانت يداها ترتجفان. نظر إلى عينيها، لكنه لم يستطع أن يقرأ فيهما شيئاً، إذ بالغت في التبرج.

تكلمت بسرعة:

ـ قبل أن نقول أي شيء، ثمة أمر هام أريد أن أقوله لك جاي.

كان حذراً منذ البداية، لكن ترقّبه وحذره زادا الآن. سألها:

ـ ألا تريدين أن تشربي شيئاً أولاً؟.

هزت رأسها نفياً، فتموّج شعرها الأسود فوق كتفيها:

ـ لا، لم آتِ إلى هنا لأشرب شيئاً، ولا لأتناول الغداء حتى.

ـ أحقاً! ولِمَ جئت إذن؟.

لاحظ توترها.

ـ لا يسهل علي أن . . .

ـ حاولي فأنت تدهشينني!.

ـ أردت فقط أن أقول إنني فكرت ملياً، وأرى أنه من الأفضل ألا نرى بعضنا مجدداً.

ابتسمت وتابعت:

ـ هذا ما عندي، ولا أظن أن قلبك سينفطر.

انتظر حتى وقفت ثم ابتسم وسألها بهدوء:

ـ هلاّ أسديت لي خدمة قبل أن تغادري؟.

بدت مندهشة:

ـ ما الأمر؟.

قسا صوته وهو يجيب:

ـ قولي لكيري إني سأتصل بها.

فكّرت كيري في ترك سماعة الهاتف مرفوعة، أو بأن تترك شقتها لأسبوع أو اثنين. حتى أنها فكرت في الاتصال بوكالة عرض الأزياء لتطلب منهم إرسالها في عروض إلى أماكن بعيدة.

ولكن ما الفائدة؟ إن أراد جاي رؤيتها، فسيفعل، إنها لا تشك في هذا أبداً. وبالرغم من أنها لم تقوَ على مواجهته سابقاً، إلاّ أنها قادرة على ذلك الآن. كان يعرف ما تريده أو ما تحتاجه، وهو يتمتع بقدر كافٍ من الرجولة ليتقبل الأمر.

حين دق جرس الباب بقوة، عرفت الطارق على الفور. فتحت الباب، وفكّرت كم تبدو ملامحه قاسية.

www.elromancia.com

كان يرتدي ثياباً سوداء كالعادة، لكنه بدا مخيفاً هذه المرة.

ـ يستحسن بك أن تدخل.

التزم الصمت عندما دخل، وبعد أن أغلق الباب. كانت عيناه حمراوين وبدا غاضباً جداً. تحدّث بأسى:

ـ هل تعتبرينني غبياً يا كيري؟.

ـ كيف عرفت؟.

ـ كيف عرفت؟ عرفت ماذا؟ أنكِ أرسلت أختك التوأم لتقوم بالعمل القذر بدلاً منك؟ هل ظننت أنني غبي إلى هذا الحد؟.

ـ لكننا متشابهتان تماماً.

ـ لا، أنتما متشابهتان، ولكن ليس تماماً، فما من شخصين في الكون متشابهين تماماً. أولاً، أنت عارضة أزياء، تمشين بطريقة مدروسة وطبيعية في الوقت عينه، على عكس أختك. كما أنها تتكلم بطريقة مختلفة وتفكر بطريقة مغايرة أيضاً. لم أرَ في حياتي امرأة يظهر عليها الانزعاج إلى هذا الحد، فهل أجبرتها على لعب هذا الدور؟.

استدارت كيري ومشت بعيداً عنه، لكنه تبعها، وما إن وصلا إلى غرفة الجلوس، حتى لم يعد أمامها مهرب. أمسكها، وأدارها ناحيته لتواجهه، وقد التمعت عيناه الخضراوان.

ـ هل أجبرتها على فعل هذا؟.

همست:

ـ نعم.

ـ لِمَ يا كيري؟ أخبريني لِمَ فعلت هذا؟ إن أردت وضع حدٍ

لعلاقتنا، فلِمَ لم تقولي لي هذا بنفسك؟ أنت امرأة قوية، امرأة مستقلة، لا بد أنك قلت مثل هذا الكلام أكثر من مرة لأكثر من رجل.

عضّت على شفتها. إنه مخطىء، فهي ليست قوية، لا بل إنها تفقد قوتها عندما تتواجد قربه. إنها مجروحة، وضعيفة لشدة مشاعرها نحوه.

ـ لا تجعلني أقول هذا، جاي.

ـ تقولين ماذا؟ إنك اكتفيت؟ هل اكتفيت مني وحان الوقت للانتقال إلى شخص آخر؟ لأنني لم أعد أناسب عارضة الأزياء المشهورة.

ـ لا تكن قاسياً! الأمر ليس كما تقول وأنت تعرف هذا تمام المعرفة.

تنهد جاي. كان قلبه ينتفض في صدره. أراد أن يهزّها وأن يعانقها في الوقت عينه. ماذا تفعل به بحق السماء؟.

ـ قولي ما الأمر يا كيري.

ـ أنت الذي حزمت أمتعتك وغادرت من دون أن تقول لي أيّ كلمة! أنت الرجل المستقل الذي يدافع عن استقلاليته ويريد أن يبقى بعيداً عن أيّ التزام. أنت الذي تتصرف كما لو أنني آسرك وأجبرك على السير معي إلى المنفى.

ـ هل هذا كله لأنني ذهبت في رحلة عمل من دون أن أطلب الإذن منك أولاً؟.

ـ لا دخل للعمل بالموضوع! فقد هربت.

جمد في مكانه وتسمّر نظره عليها:

www.elromancia.com

ـ ماذا؟ ولِمَ عساي أهرب منكِ؟.

ـ مني! من مشاعرك! تماماً كما تفعل دائماً. أندي أخبرني الحقيقة.

ـ أحقاً! إذاً علي أن أتحدث إلى أندي، فهو يعمل لدي وليس طبيبي النفسي.

ردّت بغضب:

ـ لا تلقِ اللوم على أندي، فأنا لم أحتج لأندي لأعرف الحقيقة. لقد فهمت الأمر بنفسي، وأكده لي أندي. لذا، سهّلت المهمة عليك وأنهيت علاقتنا. أليس هذا ما تريده؟.

ساد الصمت للحظات وعندما عاد ونظر إليها، رأى عينيها تلمعان.

سألها:

ـ أهذا مرادك؟.

طبعاً لم يكن هذا مرادها! حدقت إليه:

ـ طرحت السؤال عليك أولاً.

شعر بألم حاد يعتصر فؤاده. وقال:

ـ كيري! لا أريد هذا طبعاً.

أرادت أن تعرف، فهي لا تريد العيش مجدداً في عالم من الأوهام. سألت:

ـ إذاً، ماذا تريد؟.

أدرك أنه يحق لها أن تعرف، لكنه لم يجد الكلمات الملائمة التي تصف شعوره، فهو لم يضطر يوماً إلى الإجابة عن سؤال مشابه، ولا

حتى لنفسه. لكنه نظر إلى عينيها الداكنتين وعرف أن عليه أن يجيب. لا، أراد أن يجيب، لكنه لم يعرف ماذا يقول.

سأل نفسه: متى حصل كل هذا؟ متى شغلته وأصبحت جزءً أساسياً من حياته؟ لِمَ يعجز عن الكلام؟.

وبعد جهد، تمكّن من أن يقول:

ـ أريدكِ.

كان يفترض بها أن تفرح، لكن الشك ملأ قلبها. واختلطت عليها مشاعرها فصاحت:

ـ طبعاً تريدني، ولهذا هربت. لأنني أؤثر فيك ولأنك تخشى التورط مع فتاة عذراء. يا إلهي! لو بذلت جهداً أكبر لما تمكّنت من إيصال رسالتك إليّ بوضوح كما فعلت.

تنهد.

ـ أعرف.

أحست أنه منكسر. ولو لم يكن جاي هو الرجل الواقف أمامها، لأحست أنه ضعيف. تبخّر غضبها كله، وشعرت وكأنها شخص يقدم الطعام لحيوان مفترس جائع.

خفت صوته ورقّ.

ـ لقد تغيرت حقاً... تغيرت أو بالأحرى جعلتني أتغير. لم أرد يوماً أن أستقر، وكنت أهرب دائماً من الالتزام لأنني...

يمكنه أن يلقي اللوم على العديد من الأمور، فهذا ما يفعله الناس عادة. يمكنه أن يلوم طلاق والديه وتنقّله بين منزليهما، أو اختياره لمهنة يسيطر عليها الرجال.

www.elromancia.com

أو... يمكنه قول الحقيقة كما هي بتجرّد. الحقيقة السهلة البسيطة.

نظر إليها. لم يسبق لها أن رأت عينيه تلمعان هكذا. قال:

ـ لأنه لم يسبق لي أن وجدت المرأة المناسبة، لكنني الآن فعلت.

للحظة لم تصدّق كلامه. لم تجرؤ على التصديق، ولم تعرف إن كانت تحلم أم لا. لكن عينيه قالتا لها إنه صادق، إنه يهتم لأمرها كثيراً. صحيح أنه لم يستخدم الكلمات التقليدية للتعبير عن مشاعره، لكن جاي ليس برجل تقليدي. ولا ينبغي التصريح دوماً عن الحب ليكون صادقاً.

صحيح أن بعض النساء يطالبن بأكثر من هذا، لكنها اكتفت بما حملته كلماته من معنى. إنه يكسر حاجز المحظور بالنسبة له. إنه يبحث في أعماق حياته، وهذا بالنسبة لرجل مثل جاي، أمر صعب للغاية. لن تنتظر كلمات الحب، فهي تعرف أنها ستأتي لاحقاً. شعرت بعينيه تتوقان إليها، وتخبرانها أنه ضعيف.

وخطر لها أنّ حالها كحاله، لأنها هي أيضاً تشعر بالضعف. فهي أشبه بمن يقف على حافة بحر شاسع ويتحضر لأن يغطس في الماء.

همست:

ـ جاي!.

يوماً ما سيخبرها عن المعركة على الوصاية عليه عقب طلاق والديه، وعن الخوف من الاستقرار في مكان ما، وهو يعلم أن المحاكم قد تنتزعه منه في أي لحظة. وسيخبرها طيلة فترة طفولته، أنه لم يفهم معنى كلمة «منزل».

فتح ذراعيه، فاتجهت نحوه، كما لو أنها وجدت شاطىء الأمان، وبقيا متعانقين لفترة طويلة، طويلة جداً.

www.elromancia.com

١٤ ـ لست من تظنين

كان الضوء لمّاعاً كما هو الحال في جزر الكاريبي، وقد اصطفت أشجار النخيل العملاقة على جانبي الطريق مضفية نوعاً من السحر والفيء فوق الرؤوس.

انتهت جلسة التصوير، وتوجه المصورون والمصممون والعارضات الأخريات إلى الطاولة الكبيرة المخصصة لتقديم العصير ومختلف أنواع الكوكتيل. شعرت كيري برأسها يدور بعد قضائها ساعة ونصف أمام العدسات. الطقس حار جداً، وتمنت لو تجد طائرة تعود بها إلى إنكلترا فوراً.

وتعود بها إلى جاي أيضاً.

ـ أظنني سأعود إلى الفندق لأنام قليلاً ثم أخرج للسباحة.

لم يستطع أحد من الحاضرين إقناعها بتغيير رأيها، لكنها لا تظن أنهم سيفتقدون وجودها كثيراً. إن أمر المرأة المتزوجة غريب عندما يكون زوجها بعيداً عنها مئات آلاف الأميال، فهي تقضي النهار كله تفكر في الزوج الغائب.

شيء ما تغيّر فيها على مرّ الشهور. فقد تعمّقت مشاعرها نحو جاي، وتعززت علاقتهما. كانا يعيشان حياتهما الزوجية بتناغم تام، فكل واحد منهما ناجح في مهنته، فيما يقضيان أروع الأوقات سوية.

نظرت إلى المياه الزرقاء الصافية، وتساءلت إن كانت طبيعة الإنسان تدفعه دوماً للتوق إلى ما ليس بمتناول اليد. فهي الآن زوجة، والعلاقة الزوجية هي الشيء الذي لطالما حلمت به وتاقت إليه، إنها حياة تكفيها على الأصعدة كافة، وبالرغم من ذلك، ما زالت تشعر بأن شيئاً ما ينقصها. أدركت أنها تريد إنجاب الأولاد أيضاً. وبالرغم من أن جاي أظهر لهامراراً وتكراراً مدى حبّه لها، إلاّ أنها تعلم أن تأسيس أسرة خطوة كبيرة عليه.

لذا، قررت أن تكفّ عن المطالبة بالمستحيل، وأن تستمتع بما لديها الآن. رأت رجلاً يتجه نحوها من بعيد، فحدّقت إليه، فيما توقّف قلبها عن الخفقان للحظة. خيّل إليها أنها رأت جاي يقطع الشاطىء متجهاً نحوها. طبعاً، لقد استقل الطائرة وجاء يوافيها قبل يوم واحد من موعد عودتها إلى المنزل. لا بدّ أنك تحلمين كيري!.

تابعت السير باتجاه الرجل، إذ أرادت أن تتأكد من أنه ليس سوى رجل غريب، طويل القامة يستمتع بقضاء عطلة في جزر الكاريبي. كانت بعيدة عنه بحيث لم ترَ تعابير وجهه، وعينيه اللتين تلمعان بسحر لا مثيل له. وفجأة، تلاشت شكوكها وباتت واثقة من أنه جاي.

تفاجأت كثيراً إلى حد أنها لم تقوَ على السير. غريب كيف تختلف الحقيقة عن الأحلام. عليها أن تركض وترتمي بين ذراعيه، فيحملها ويدور بها، ويدور، ويدور، ولكن...

لِمَ جاء؟.

خطر له أنها تبدو كالسراب، هزيلة في فستان زهري يلمع تحت أشعة الشمس.

توجه نحوها ببطء، أراد الاستمتاع باللحظة فيما راح قلبه ينبض

بسرعة وقوة، وتملّكه دوار خفيف. استطاع أن يرى وجهها، ونظرة الخوف في تينك العينين السواداوين، وشعر برعشة قوية تفوق الوصف.

سألت كيري، وقلبها يرتجف من الخوف:

ـ ماذا جرى؟ ماذا تفعل هنا؟

ابتسم:

ـ يا لها من طريقة لإلقاء التحية على زوجك!

نظرت إليه وقد علت وجهها نظرة تساؤل، وعجزت عن فهم تعابير وجهه بسبب الظلال المنعكسة عليه. أرادت أن تزيل تلك الظلال لتفهم ما يجري.

ـ جاي؟.

مدّ يده وأبعد خصلة الشعر عن وجهها، ثم سألها بلطف:

ـ ألستِ مسرورة لرؤيتي؟.

ـ بالطبع أنا مسرورة.

ردّت بأنفاس متقطعة، لكنها لم ترتمِ بين ذراعيه، ولم يشدّها نحوه فأردفت:

ـ لم يحصل خطب ما، أليس كذلك؟.

ـ هذا يعتمد على تعريفك لكلمة خطب.

قالت بصوت متقطع:

ـ جاي، يفترض بي العودة غداً إلى المنزل... فلِمَ جئت إلى هنا؟.

ـ لأنني اشتقت إليك.

ـ حسناً، هذا...

ـ ماذا؟.

ـ أمر مفاجىء.

وافق وهو يبتسم:

ـ صحيح، ظننت أنني سأتعلق كثيراً بامرأة تمنحني هذا القدر من الحرية.

فتحت عينيها غير مصدقة. لقد تعلقت باستقلاليتها لأنها ظنت أنه أعجب بها بسببها.

ـ ألست كذلك؟.

ـ أنا بلى، متعلق بكِ حتى الجنون!.

ـ هذا لا يحصل دوماً، أعني رحلات العمل.

ـ لا.

ـ كما وأنك قضيت حياتك كلها في السفر إلى مختلف أنحاء العالم.

ـ أعلم هذا.

وتمنى من صميم قلبه ألا تعيش الحياة عينها التي خبرها مع أسود البحر! لا، إنه يعلم جيداً أنّ حياتها مختلفة، فهي حنونة ومخلصة. لكن ما إن غابت، حتى تاق إليها بطريقة لم يعرفها يوماً. وإن كان هذا ما تريده، فستحصل عليه. انحنى وعانقها.

ـ هل ترغبين في أن تسافري لأسابيع طويلة، يا عزيزتي؟.

ترددت:

ـ في الواقع لا، ليس كثيراً.

www.elromancia.com

عبس:

- إذاً، لِمَ تقومين بمثل هذه الرحلات؟.

- لأنها مهنتي! ولأني أفضل الإعلانات التي تصوّر في أماكن بعيدة، كما أنهم يدفعون لي مبالغ طائلة ويرفعون من شأني في ميزان العمل. يبدو أنني أصبحت مطلوبة أكثر منذ أن كسبت بعض الوزن، والفضل في هذا يعود لك وحدك.

سأل: «وماذا حل بفكرة الديكور؟ ظننت أن العمل على تغيير ديكور مكتبي سيشكل نقطة الانطلاق لك ويدفعك إلى تغيير مهنتك».

- هذا حلمك أكثر بكثير مما هو حلمي!

- ظننته حلمك أيضاً؟؟. هل غيرت رأيك عندما جرّبت العمل في هذا المضمار؟

عضت على شفتها. حسناً، ماذا يجري؟ أخبريه الحقيقة.

- قررت ألا أبدأ أيّ نشاط جديد لأن علاقتنا كانت جديدة، وهامة جداً بالنسبة إليّ. ولم أرد التركيز على شيء سواها. لم أرد تغيير مهنتي لأنني لم ...

انخفض صوتها، وتلاشت كلماتها وهي تنظر إلى الرمل.

- لأنكِ ماذا؟ انظري إليّ كيري!.

حلّت لحظة الحسم. هل تتمتع بالجرأة على قول هذا؟.

همست:

- لا أستطيع رؤية عينيك.

ابتعد عن الظلال وسأل:

- هل هذا أفضل؟.

أفضل وأسوأ في الوقت عينه. لم يسبق لها أن رأته جاداً إلى هذا الحد، فعرفت أنّ ما من خيار أمامها. عليها أن تخبره.

- لم أعرف إن كان زواجنا سيدوم، أو إن كنت ستغيّر رأيك بشأن الارتباط. لم أكن واثقة من قدرتي على التأقلم مع هذه الأمور كلها إن أحدثت تغييراً بهذه الأهمية في حياتي.

أوما وقد أدرك أنها لا تزال تشعر بعدم الأمان. لم تستعجل كيري الأمور يوماً، أو تمارس الألاعيب عليه، ولعلّ جزءاً منه كان ينتظر أن تقدم على مثل هذه التصرفات، ليكتشف إن كان سيشعر بأنه مقيّد. لكن هذه العلاقة ليست بسجن. لقد وجد مكاناً يريد البقاء فيه والاستقرار، مكاناً يريد أن يجعله منزله الدائم، وأن يرسي أساساته. أراد إخبارها عن مشاعره، لا بل احتاج لأن يخبرها عن مشاعره.

- أحبك كيري.

قالها ببساطة، وتساءل لما احتاج هذا الوقت كله ليعترف بحقيقة مشاعره. أحسّ وكأن أحدهم أوقد ناراً في داخله. بدأ الأمر كنار خفيفة، يرغب المرء بالحفاظ عليها ورعايتها، وقد تعاظمت الآن إلى حد أنها باتت تحرقه. واكتشف مشاعراً ملأت قلبه، مشاعر جديدة لم يعرف بوجودها في السابق.

ابتسم ابتسامة ساحرة وردّد:

- أحبك.

- جاي!.

راحت تبكي، فأخذها بين ذراعيه وضمّها إلى صدره كما لو أنه لن يفلتها أبداً. وبعد حين، توقفت عن البكاء، فقبّل أنفها، ومسح دموعها.

- لِمَ تبكين يا عزيزتي؟.

- لأنني أحبك، أحبك كثيراً.

أدرك أن النساء يبكين دائماً لسبب ما. وإن كانت كيري تبكي من شدة حبها له، فهو لا يمانع أبداً.

بعدئذ، شعرا بأنهما في غيبوبة. ظلاّ متعانقين فترة طويلة، ولم يلتفت إليهما أحد من المارة لأن مثل هذا المشهد أمر طبيعي في جزر الكاريبي.

لكن كيري رغبت ببعض الخصوصية:

- هلا عدنا إلى الفندق؟.

ابتسم وشعر بقلبه يخفق بقوة:

- أظن أن هذا سيكون أفضل.

مشيا على الشاطىء الرملي يداً بيد. وما إن أوشكا على الاقتراب من الفندق حتى سمعا قرع طبول، ورأيا ثنائياً يقف حافي القدمين في المياه. كانت المرأة ترتدي فستاناً أبيض وتحمل مولوداً جديداً بين ذراعيها.

تنهدت:

- أنظر جاي، إنه احتفال بولادة طفل... لعلهم يريدون تعميده.

فكر أنّ الوصول إلى وراء خطوط الأعداء أسهل بكثير من فهم ما يدور في عقل هذه المرأة. سألها ببرودة:

- هل تريدين أن نبدأ بالعمل على إنجاب طفل؟

تسمرت في مكانها:

- يا إلهي! أتريد طفلاً حقاً؟.

- بالطبع أريد. ألم أقل إنني أحبك كثيراً...

فكر في أختها التوأم، وبشجاعتها وقوّتها وتربيتها لطفلها الصغير وحدها، فلانت ملامحه، ورفع ذقنها إلى الأعلى لتنظر مباشرة إلى عينيه:

- اسمعي، ما رأيك لو تأتي عائلتك لقضاء عطلة في جزر الكاريبي؟.

شعرت في تلك اللحظة أنها تحبه إلى حد أن قلبها سينفجر.

- جاي! ألا يسعك أن تتخيّل ويليم يلعب على هذا الشاطىء الرملي الرائع؟.

أوماً وأخذ نفساً عميقاً، وهو يعلم أنه لن يستطيع تأجيل الأمر أكثر. قال:

- ثمة أمر آخر عليكِ أن تعرفيه يا كيري!.

لم تعتد نبرة صوته هذه، فنظرت إليه بخوف. قال:

- اسمي ليس جاي لينور.

الخاتمة

سوّت كيري الشريط المربوط حول إناء السيراميك، وتراجعت إلى الخلف تنظر إلى مدخل المحل المطلي حديثاً. سيتم افتتاح محلات لينور للخدمات بعد بضع ساعات. تم ترتيب زجاجات العصير على الطاولات، وسيحضر السقاة في الحال ليقدموا الطعام للضيوف.

قالت كيري:

ـ سنقدم أشهى ما في المطبخ الإنكليزي والأميركي.

ضحك جاي.

سألت قلقة:

ـ ما رأيك؟.

نظر إليها من علو: «بصراحة؟».

ـ بصراحة.

ابتسم.

ـ أظن أن المكان يبدو رائعاً حقاً. وأنت أيضاً، لكنك تبدين خلابة دوماً.

ابتسمت وهي تلامس وجهه وتذكرت المأساة التي حدّثها عنها حين تحدّث عن والده، صاحب الملايين الأميركي، تلك الملايين

التي ورثها جاي عنه. قال بمرارة:

ـ إنها ثروة كبيرة، وغالباً ما يجلب هذا القدر من المال المآسي.

أراد أن يستفيد من هذه الثروة في أعمال الخير، فأسس جمعية خيرية تعنى بالأطفال المحرومين، وحمل شهرة أمه ليناى بنفسه عن أعمال والده كلها.

هل صدمها الخبر؟ لا، ليس تماماً. فما من شيء يفعله جاي يصدمها، بل يسرها. لقد عرفت منذ البدء أن التعرف إليه عن كثب أشبه بإزالة القشرة عن برتقالة والدخول إلى لبّها. أمر مليء بالمفاجآت!

صحيح أنه يتصرف أحياناً بعناد وكبرياء، لكن ليس دوماً، بل نادراً، نادراً جداً.

رفع يدها عن الشريط وقرّبها من شفتيه يقبّلها. جاءت مبادرته رقيقة ورومنسية، ولما حدّق إليها تلوّنت وجنتاها خجلاً. لقد تغيّر جاي كثيراً، وبات يظهر مشاعره دوماً.

قرّرا معاً أن الحب حرّ، وأنه يفترض بالمتحابين أن يقولا كل ما يدور في فكرهما وقلبهما، عوضاً عن القلق والتردد قبل التكلم. والغريب في الأمر هو أنه غالباً ما كانت حاجاتهما ورغباتهما تتقاطع، فتأتي في الوقت عينه.

بدأ الأمر حين كانا يتنزهان على الشاطىء والنجوم تتلألأ في السماء كالماس في الكارايب.

قال:

ـ تظهر النجوم بوضوح تام هنا.

وتذكرت ما قاله يوماً عن أن أضواء المدينة تحجب النجوم.

www.elromancia.com

عندئذ، خطرت في بالها فكرة: ماذا لو تركا لندن، وأسسا عملاً هنا في الكاريبي، وتركا لأندي مسؤولية إدارة مكتب لندن.

قالت بجدية:

ـ أظن أن أندي جاهز للحصول على ترقية والخروج من تحت وصايتك. كما أظن أن الوقت حان لتتوقف عن القيام بالمهام الخطرة.

ـ أحقاً؟.

ضحك. فلو قال له أحدهم مثل هذا الكلام في السابق لثار غضباً. لكنه جاهز الآن، لا بل إنه أكثر من جاهز.

ـ نعم. يمكنني ترك عرض الأزياء. أريد هذا جاي. سأبدأ العمل في مجال الديكور، فيمكنني أن أتحمل المصاريف.

ـ يمكننا تحمل المصاريف.

أومأت كيري، وقد امتزجت أحاسيسها بالفرح والدفء.

ـ يمكنني أيضاً أن أقدم شقتي لإيرين، ولن أقبل الرفض كجواب. يمكنها أن تعيش فيها أو تبيعها فهي حرة تماماً.

قبلت إيرين الهدية بعدما ألح عليها كل من جاي وكيري، ثم قررت بيعها والانتقال إلى الريف.

قالت إيرين: «ما من فائدة من العيش في لندن إن لم تكن كيري فيها. هذا إن كنت لا تمانع يا جاي!».

هزّ رأسه.

ـ لا أمانع أبداً.

بدأ جاي يفهم هذا الرابط الأخوي الذي يجمع بين إيرين

وكيري، وتعوّد على احترامه، وعدم الخوف منه، كما يفعل معظم الرجال. كما أنه يقدّر إيرين، فهي تشبه زوجته كثيراً، لكنها تختلف عنها. وكما قال من قبل، ما من شخصين في الكون متشابهين تماماً، بالرغم من الصعوبة التي قد يعانيها الناس في التفريق بينهما من حيث الشكل الخارجي. أما هو، فقادر على إيجاد كيري ولو من بين المئات، فحدسه ينبئه بمكانها.

لا، لعله ليس الحدس، بل إحساس آخر، إحساس أقوى من الحدس بكثير.

ابتسم لزوجته.

إنه الحب!

www.elromancia.com